تنظيم القاعدة

ومَشروعُ الدَّولَةِ الإسْلامِيَّة

والتَّلاعُب المُستمرُّ بمبدأِ الوَلاءِ والبَراءِ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦م

الناشر

مركز ثبات للبحوث والدراسات

تنظيم القاعدة

ومَشروعُ الدَّولَةِ الإسْلامِيَّة

والتَّلاعُب المُستمرُّ بمبدأِ الوَلاءِ والبَراءِ

تأليف

سعيد بن حازم السويدي

مركز ثبات للبحوث والدراسات

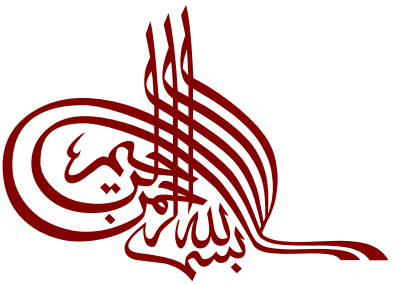
بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

تصدير ٧
مُقدِّمةٌ ٨
القَاعِدَة: تنظيمٌ بلا مشروعٍ يسيرُ في رِكابِ الأنظمة ١٣
تَقلُّب موقِفِ القَاعِدَة حِيالَ مشروعِ «الدَّولَة الإسْلامِيَّة» ١٦
الموقف الأول: معارضَةُ الإسلاميين في رُؤيتهم لمشروع الدولة ١٨
الموقف الثاني: العَبَثُ بمصير دولةٍ إسلاميَّةٍ لا يحكمونها ٢١
الموقف الثالث: إقامَةُ دولَةٍ في ظل احتلالَينِ إيراني وأمريكي .. ٣٦
موقفُ قيادةِ القَاعِدَةِ من أتباعِها في العراق ٤٦
كيف حدَّدت القَاعِدَةُ موقفَها من دولة العراق الإسلامية؟ ٥٠
١- الجهلُ بالواقعِ العراقيِّ ٥٠
٢-الجهلُ بِحالِ أَتباعِها في العِراقِ ٥٩
٣- تَرْكُ الاِستِئناسِ باعتِراضِ المَقدسيِّ على عَملِ القَاعِدَةِ .. ٦١
عطيَّةُ اللهِ اللِّيبيُّ: طُغيانُ الحِزْبِيَّة على المَوقفِ الشَّرعيِّ في قَضيَّةِ «الدَّولَة الإسْلامِيَّة» ٦٧
أوَّلًا: موقفُ عَطيَّةِ اللهِ مِن دَولةِ العِراقِ الإسلاميَّةِ قبلَ الإعلانِ عَنها ٦٧
ملاحظاتٌ على موقفِ عطية الله قبلَ إعلانِ الدَّولةِ ٧٧

ثانيًا: موقِفُ عطية الله من دولةِ العِراقِ الإسلاميَّةِ بعدَ الإعلانِ عنها ٧٨
نَظراتٌ في سببِ التحوُّل ٨١
حِزبيَّةٌ تعبَثُ بمِعيارِ الولاءِ والبَراءِ ٨٥
المَوقفُ الرَّابعُ: مُحاربةُ دَولةِ الخِلافةِ بِقيادةِ إخوة المَنهجِ ٩٤
القَواسمُ المُشتركةُ بَين داعشَ وجَبهةِ النُّصرةِ ٩٥
هَل لِلقاعدةِ أعذارٌ في عَدمِ مُبايعةِ داعشَ؟ ٩٧
جبهةُ النُّصرةِ لَيس لها تَصوُّرٌ مستقلٌّ عن داعشَ ٢٠١
أثرُ التَّحزُّبِ المَذمومِ على الوَلاءِ والبَراءِ مِن كلامِ ابنِ تَيميَةَ .. ١٠٦
الجَماعاتُ المُتَطَرِّفةُ في ضَوءِ كلامِ ابنِ تَيميةَ ١١٥
المصادر ١٢٠

تصدير

الحَمدُ للهِ، أمَّا بعدُ..

فإنَّ نقْدَ الأشخاصِ والجماعاتِ، أو الدُّولِ والحُكوماتِ، يَحتاجُ إلى سَبرٍ للمواقفِ والبياناتِ الرَّسميَّةِ؛ ليكونَ ذا مِصداقيَّة، وسائرًا على أُسسٍ مَنهجيَّةٍ عِلميَّة، وهذا ما نَقْرؤُه في هذا المَبحَثِ النَّفيسِ، الذي يَدرُسُ حالةَ تَنظيمِ القاعِدة مع مَبدأ (الولاء والبَراء)، الذي طالَمَا فاصَلُوا عليه الدُّولَ والجماعاتِ، بل حتَّى الشُّعوب!

ولأبي العبّاس ابنِ تَيميَّةَ رحِمَه اللهُ جُملةٌ نُورانيَّةٌ مُناسِبةٌ للمَقامِ، يقولُ فيها: «وهكَذا يُصيبُ أصحابَ المقالاتِ المختلفةِ [أي: يُصيبُهم الهوَى والانتصارُ للنَّفس]، إذا كان كلٌّ منهم يَعتقِدُ أنَّ الحقَّ معه، وأنَّه على السُّنَّةِ؛ فإنَّ أكثرَهم قد صارَ لهم في ذلك هوًى أنْ يَنتصِرَ جاهُهم أو رِياستُهم وما نُسِبَ إليهم، لا يَقصِدونَ أنْ تكونَ كلمةُ الله هي العُليا، وأنْ يكونَ الدِّينُ كلُّه لله، بل يَغْضَبون على مَن خالفَهم، وإنْ كان مُجتهِدًا معذورًا لا يَغضَبُ اللهُ عليه، ويَرْضَون عمَّن يُوافِقُهم، وإنْ كان جاهلًا سيِّئَ القَصدِ، ليس له عِلمٌ ولا حُسنُ قَصْدٍ؛ فيُفضي هذا إلى أنْ يَحْمَدوا مَن لم يَحْمَدْه اللهُ ورسولُه، ويَذُمُّوا مَن لم يَذُمَّه اللهُ ورسولُه، وتصيرُ موالاتُهم ومعاداتُهم على أهواءِ أنفُسِهم، لا على دِينِ اللهِ ورسولِه» أ.هـ[1].

المكتَب العِلمي
بمركز ثَبات للبُحوث والدِّراسات

(١) منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٥٥).

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ
مُقدِّمةٌ

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّد المرسلِين، وإمامِ المجاهدين؛ نبيِّنا مُحمَّدِ بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

فتتفِقُ معظمُ الحركاتِ الجهاديَّةِ (المُعتدَلة والمُتطرِّفة) على مشروعِ إقامةِ الدَّولَة الإسْلامِيَّة؛ كهدفٍ إستراتيجيٍّ وثمرَةٍ مُنتظرَةٍ لعَملِها ونشاطِها المسلَّح، لكنَّها تتباينُ في آلياتِ الوُصولِ إلى هذا الهدفِ، والتباينُ والاختلافُ في الرُّؤَى وارِدٌ وطبيعيٌّ؛ لأنَّه انعكاسٌ لتباينِ المداركِ والأفهامِ والظروفِ السياسيَّةِ، والبيئةِ الاجتماعية، والخبرةِ العَمليَّة، وغيرِ ذلك مِن العواملِ المؤثِّرةِ في وضْع التصوُّرات المستقبليَّةِ.

لكنَّ الإشكاليَّةَ تَحدُث حينما يكونُ المعيارُ في قَبولِ فِكرةِ الدَّولَة الإسْلامِيَّة ورَفضِها هو الهوَى والمصلحةَ الحِزْبِيَّةَ، وعدمَ الاعتدادِ بوجهةِ النَّظرِ المخالِفَةِ، وتحويلَ الاختياراتِ السِّياسيةِ والفقهِيَّةِ للجماعةِ إلى نُصوصٍ قَطْعيةٍ ومُحْكماتٍ لا جدالَ فيها، وهذا ما تَقعُ فيه الفصائِلُ المُتطرِّفَةُ؛ كتنظيمِ القاعدَةِ وتفرُّعاتِهِ (جبهة النُّصْرَة، داعش) ومَن شاكَله في المنهَجِ.

فتُصبِحُ الجماعةُ المتطرفةُ بمنزلةِ الفَيْصلِ والفُرقانِ بينَ الحَقِّ

والباطِلِ؛ فلا تَرى لغيرِها حقًّا في مخالَفتِها، ولا أهْليَّةً للطَّعنِ في قَراراتِها.

وهذه السِّمَةُ عامَّةٌ في سِياستِهم وخِطابهم الإعلاميِّ، وتعامُلِهم مع غيرِهم مِن الفصائلِ الجهاديَّةِ والأحزابِ الإسلاميَّةِ، وهو خَللٌ ليس بالهيِّنِ، وإشْكاليَّةٌ كبرَى تُسقِطُ شرعِيَّةَ الجمَاعَةِ المتطرِّفَةِ؛ لعِدَّةِ أسبابٍ:

أولًا: أنَّه تهرُّبٌ مِن الاحتكامِ للشَّرْعِ باسْمِ الانتصارِ له، وتحتَ واجِهةِ الدِّفاعِ عنه، والسَّعْيِ لتحكيمِه، فحينما يرَى المتطرِّفُ أنَّه وحْدَه مؤَهَّلٌ لاتخاذِ القَراراتِ نِيابَةً عن الأُمَّةِ والفصائلِ الجهاديَّةِ، فهو بذلك يُقيمُ نفسَه مقامَ النَّبِيِّ المعصومِ الذي لا يَسَعُ أحدًا مُخالفَتُه أو الطَّعْنُ في أحكامِه. ولو خالَفَ هذا المُتطرِّفَ أحدٌ وطلَبَه إلى مَيدانِ النِّقاشِ والجِدالِ لـأَبَى وأعْرَضَ؛ لأنَّه يرَى نفسه فوقَ المُحاسَبَةِ والمُساءَلَةِ!

وهذا ٱلتفافٌ على الاحتكامِ للشَّريعةِ بذريعةِ الانتصارِ لها، وإباءٌ لِما يُريدُ إخضاعَ النَّاسِ له، وسببُه توهُّمُ أنَّ الغَيْرةَ على الدِّينِ والتَّضحيةَ في سبيلِه تَغْفِر له الأخطاءَ التي يَرتَكِبُها، وتُصوِّبُ الآراءَ التي يذهَبُ إليها، وتجعلُه فوقَ أيِّ مُحاكَمَةٍ أو ضبْطٍ.

فضوابِطُ الشَّرِيعَة وقيودُها التي تَعصِم العملَ مِن الشَّطَطِ والانحرافِ تَتحوَّلُ في نظَر ذلك المُتَطَرِّفِ إلى مُعيقاتٍ للعملِ

الجهاديِّ وتلبيساتٍ لصدِّ النَّاسِ عن الجهادِ، ولذلك غالبًا ما يُصارُ إلى الأخْذِ بنظريةِ المُؤامَرةِ، ولغةِ التَّخوينِ والمزايداتِ والطَّعنِ في النَّوايا، والتَّشكِيكِ في المقاصِدِ من أجلِ مُواجَهةِ المطالبِ بالخضوعِ لقوانينِ الشَّرِيعَةِ ومقاصِدِها.

ثانيًا: الإخلال بقاعِدة الولاء والبراء

فحينَما يتحوَّل رأيُ الجماعَةِ المُتَطَرِّفةِ إلى قضيةٍ لا جدالَ فيها- من وجهةِ نظرِها- يُصبِحُ الولاءُ والبراءُ على أساسِها؛ فيَمْتَنِعُ مِن مُناصَرَةِ الإسلاميينِ في جُهودِهم العلميَّةِ والدَّعويَّةِ، ويتدرَّج في عدائِه لهم، فإذَا تمكَّن مِن حملِ السِّلاحِ أباحَ لنفسِه العُدْوانَ على المُخالِفِ وظلمْهُ دونَ مراعاةٍ لحقِّ المسلِمِ الذي كفَله الشرعُ، حتى إن كان عاصيًا أو فاسقًا، أو مبتدِعًا، فكيفَ إنْ كان مؤمنًا عاملًا للدِّين، لكِنَّه يُخالِف الجماعةَ المُتَطَرِّفةَ، ولا يُوافِقُها فيما تذهَبُ إليها.

وهذا العُدْوانُ قد يكونُ بسفكِ الدَّمِ واستباحَةِ المالِ، أو بالاتِّهاماتِ والافْتراءِ والكَذِبِ الذي يُرافِقُ أجواءَ المُزايَدةِ والتَّخوينِ والكلامِ الثَّوريِّ المُضَخَّم.

ويتعدَّى الأمرُ إلى أنْ تُعطِي الجماعةُ لنفسِها حقَّ إمامِ المسلمين، فتَتَعامل مع الأنظمَةِ السياسيَّةِ المُحارِبَةِ للدِّين مِن أجلِ مَصلحَتِها، كما فعلَتِ القاعدَةُ مع إيرانِ والنِّظامِ السوريِّ النُّصَيْرِيِّ،

وكما يَفعَلُون دائمًا في الاستفادَةِ مِن التَّسهيلاتِ الممنُوحَةِ لهم مِن الأنْظِمَةِ، ويُبيحون لأنفسِهم التعامُلَ مع الطَّاغوتِ بينَما يُشنِّعون على عُلماءِ المسلمينَ بأنَّهم أتْباعُ السلاطينَ!!

بل قد يُعطِي المُتَطَرِّفُ لنفسِه الحقَّ في ضَربِ المُرتدِّين- مِن وجهةِ نظرِه- مستعينًا بالكُفَّارِ الأصليِّينَ! وهكذا يتحوَّلُ المُتَطَرِّفُ إلى شَرِّ المنازلِ حينما يتورَّطُ في العُدوانِ على المُسلِمِ المُخالِفِ له مِن خلال الاستعانةِ بالكُفَّارِ.

وهذا كلُّه إذا سَلَّمنا بأنَّ المُتَطَرِّفينَ لهم أهْلِيَّةُ النَّظرِ والاجتهادِ في النَّوَازلِ الكُبرَى التي تَدْهَمُ المسلمينَ في زمانِنا؛ وهذا غيرُ مُسلَّمٍ به؛ فإنَّهم- فضلًا عن غيرِهم- يُقرُّون أنَّ العلماءَ فيهم قَليلون، وأنَّهم يُواجِهونَ مُشكلةً نتيجةَ ذلك[1].

إنَّ التفكيرَ بالولاءِ والبراءِ بمَعْزِلٍ عن الأُمَّةِ والاندماجِ في قضاياها ومعاونَةِ أهلِ الصَّلاحِ فيها، هو انحرافٌ كبيرٌ في فهْمِ هذا الأصْلِ العظيمِ؛ فلم تُشْرَعْ مُعادَاةُ الكُفَّارِ ومُوالاةُ المسلمينَ إلَّا لتَقْويَةِ الصَّفِّ الإسلاميِّ، والحِفَاظِ على تماسُكِه، وتعزيزِ قُدرتِه على مُواجَهةِ التَّحدِياتِ الخَارِجيَّةِ.

(١) ومنهم: أبو مصعب السُّوري في كتابه (دعوة المقاومة الإسلامية العالمية)، وأبو حمزة المهاجر كما في (المجموع لقادة دولة العراق الإسلامية) (ص ١٣٧-١٣٨)، وعطية الله الليبي في (الأجوبة على أسئلة أعضاء منتدى الحسبة) (ص ٢١).

وإذا صارَ التعامُلُ مع هذا الأصلِ على أساسِ إضعافِ المسلمينَ وإشغالهمِ بصِراعاتٍ ومَشاكِلَ تَزيدُ من فُرْقتهم؛ فإنَّ هذا على الضِّدِّ مِن مقصودِ الولاءِ والبراءِ.

وتحويلُ الآراءِ الحِزْبِيَّةِ إلى مِحورٍ للولاءِ والبراءِ من أُصولِ المبتدَعَةِ التي يُخالفونَ بها أَهلَ السُّنَّةِ، ويُبرِّرُون بها عُدوَانَهم على جُمهورِ الأُمَّةِ.

القَاعِدَة
تنظيمٌ بلا مشروعٍ
يسيرُ في رِكابِ الأنظمة

قَبلَ الشُّروعِ في الدِّراسَةِ، لا بُدَّ مِن الانطلاقِ مِن فكرةٍ مهمَّةٍ، وهِي أنَّ تنظيمَ القَاعِدَةِ لم يضَعْ لنفسِهِ أهْدافًا واضِحةً محدَّدةً عندَ تأسِيسِه، بل لا تتوافَرُ فيه مُواصفاتُ التَّنظيم، وعليه لا يُمكِنُه أنْ يُزاحِمَ حَركاتٍ إسلاميَّةً وتنظيماتٍ جهاديَّةً معروفةً بتاريخِها وأهدَافِها، وقياداتِها وقاعدتِها الشعبيَّةِ، وإنجازاتِها الفِعليَّةِ.

وإنْ أرَدْنا المُقارَنَةَ بينَ المَشرُوعيْنِ؛ أيُّهُما أصلَحُ، فإنَّ المقارَنَةَ لا تصحُّ ابتداءً بينَ مجموعةٍ غيرِ واضحةِ المَعالِم، وبينَ مجموعةٍ تَعرِفُ ما تريدُ، وتعرفُ أينَ تضَعُ قدَمَها، وكيف تُناوِرُ، وما هي الخُطْوَةُ اللاحِقَةُ أو الخُطَّةُ البَدِيلَةُ، و آليَّاتُ الاستدرَاكِ والتَّصحِيحِ، وغيرُ ذلك.

و مَن كانَ مجهولَ الحالِ، مجهولَ المعالِم، لا يُقدِّم للأُمَّةِ سِوى الوُعودِ وخِطابِ التَّثويرِ والتَّخوينِ والمُزايدَةِ والنَّقْدِ والاتِّهام، مَن كان هذا شأنَه فإنَّه لا يُمكِنُه أن يُزاحِمَ غيرَه، فضلًا عن أن يفْرِضَ رأيَه، ويُصادِرَ آراءَ الآخرِينَ.

ارتبطَ اسمُ تنظيمِ القَاعِدَةِ بما يُعرَف بالجهادِ العالميِّ؛ فهل لهذا المصطلحِ معنًى واضحٌ، وهل له غايةٌ محدَّدةٌ ومصلحةٌ

راجحةٌ بحيث يصْلُح التعويلُ على مُخرَجاتِه ونتائجِهِ ودعمِه، أم هِي المُواجَهةُ المَفتُوحَةُ إلى أجَلٍ غيرِ مُسمًّى دُونَ اعتبارٍ للمفاسِدِ والخسائرِ، وإمكانيةِ المطاولَةِ مِن عدَمها، وحصولِ النِّكايَةِ ومقدارِ الضَّرَرِ المترَتِّب، وغيرِ ذلك مِن المسائلِ الواجِبِ بحثُها عندَ الحدِيثِ عما يُعرَفُ بالجِهادِ العالَميِّ؟

ليستْ إشْكاليَّةُ التَّنظِيماتِ المُتَطَرِّفةِ في غِيابِ الرُّؤيَةِ السِّياسيةِ والهدَفِ الواضِحِ فحسب، وإنَّما في عَجزِها عن السَّيْرِ في مَشْرُوعِها دونَ الاستنادِ إلى قُوَّةٍ سياسيَّةٍ حاكمة- ترى كفر بعضها -، وهذا الخللُ الكبيرُ يَقدَحُ في التَّصَوُّرَاتِ والتَّخَيُّلاتِ الكبرى التي يُقدِّمُها الغُلاةُ ويُروِّجُون بها لمشرُوعِهم.

حيث يَحرِصُ الغُلاةُ على الظُّهورِ بصورةِ المُستعلِي على الكُفَّارِ المستغنِي عنهم المُستقلِّ بإرادَتِه، وأنَّه لا أحَدَ يُملِي عليهم، ولا يَسمحُون لأحدٍ أن يضغَطَ عليهم، ويُجبِرَهم على التنازُلِ، لكنَّ الواقِعَ يشهدُ بغيرِ هذه الادِّعاءاتِ المَزعومةِ.

إنَّ تارِيخَ القَاعِدَةِ يُؤكِّد أنَّها استقرَّتْ في السُّودانِ في الفترةِ (١٩٩٢-١٩٩٦م) تحتَ حمايةِ ورعايةِ نظامِ البَشيرِ، بعدَ ذلك انتقلتْ إلى أفغانستان (١٩٩٦-٢٠٠١م) تحتَ حمايةِ نظامِ طالبان، وبعد ذلك استقرَّت القَاعِدَةُ في إيران بعدَ هجمات أيلول ٢٠٠١م، أما زَعيمُها فقد قُتِلَ في مَنزلٍ كبيرٍ بالقربِ من أكاديميَّةٍ

عَسكريَّةٍ باكستانيَّةٍ (في منطقة أبوت أباد)، وأمَّا القاعدةُ في العِراقِ فقد كان الشُّريانُ المُغذِّي لها يتمتَّعُ بحمايةِ النِّظامِ السُّوريِّ العَلَوِيِّ، ويَضمَنُ لها تدَفُّقَ المُقاتِلينَ.

وكذلك فإنَّ آلافَ الأجانِبَ الذين قدِمُوا للقِتالِ في سُورِيَة، ما كانَ لهم أن يَصِلُوا ويَدْخُلُوا إلَّا بتسهِيلاتٍ وغضٍّ للطَّرْفِ مِن قِبل بعضِ دُولِ الجُوارِ السُّورِيِّ، وكُلُّ ما جرَى في العِرَاق لا يمكنُ تَفْسيرُه بشكلٍ منطِقِيٍّ إلا مَع وجودِ إرادات سياسية تَدْعمُ بَقاء داعش (كهُرُوبِ مئاتِ السُّجناءِ مِن سجْنَيِ أبو غريب والتاجي في تموز ٢٠١٣م، وانسحابِ آلافِ العناصِرِ العسكريَّةِ والأمنيَّةِ مِن مَدينةِ المُوصِلِ في حزيران ٢٠١٤م، وترْكِ التَّنظِيمِ يقطَعُ المَسافاتِ الطويلَةَ بأرْتَالِه وآليَّاتِه دُون أنْ يتعَرَّضَ له أَحَدٌ).

والمرادُ ممَّا سبَق: التأكِيدُ على أنَّ التَّنظيماتِ المُتَطَرِّفةَ لا تمْلِكُ مشروعًا حقيقيًّا أو برنامجًا واقعيًّا، فضلًا عن أنْ تمْلِك الوسائِلَ المؤدِّيَةَ لتحقيقِ هذا المشروعِ، ومع ذلك فإنَّها تُزاحِم الحركاتِ الإسلاميَّةِ، وتسعَى لفَرْضِ تصوُّراتِها بقوَّةِ السِّلاحِ وغَوغائِيَّةِ التَّخوينِ والتَّكفِيرِ.

تَقلُّب موقِفِ القَاعِدَة حِيالَ مشروعِ «الدَّولَة الإسْلامِيَّة»

تَقلَّبتْ مواقفُ القاعدةِ وأنصارِ الفِكْرِ المُتَطَرِّفِ مِن مشروع الدَّولَةِ الإسْلامِيَّة واضطرَبتْ معاييرُهم في ذلك، انطِلاقًا مِن مَصلَحَتِهم وقناعَتِهم بالمشرُوعِ؛ فكانوا يَرفُضونه، أو لا يُبالونَ به في الوقتِ الذي لا تكونُ لهم قوَّةٌ أو شَوْكَةٌ، بينما يُسارِعُون إليه حينما يَجِدونَ الظُّروفَ مُوَاتيَةً لهم، وإن خالفُوا بذلك أعيانَ البلادِ وأهلَ الرأيِ فيها.

ومَن ينظرُ في اضطرَابِهم لا يُمكنُ أن يلومَهُم إن عَدَّهم حزبًا سياسيًّا أو حرَكَةً ثوريَّةً غيرَ دينيَّةٍ تبنِي تصوُّرَاتِها، وتتَّخِذَ قراراتِها بناءً على ما يُقرِّرُه زُعماؤُها وأهلُ الرَّأيِ فيها، ووفقًا لِما يرَوْنَه مصلحةً لحِزْبِهم وجَماعَتِهم.

أمَّا المُتَطَرِّفونَ فيزعُمُونَ أنَّ مشرُوعَهم دِينيٌّ جِهادِيٌّ؛ مع أنَّ سُلُوكَهم العمَلِيَّ يُؤكِّدُ أنَّهم لا يختلِفُونَ كثيرًا عن العلمانيينَ الذي لا يَنضَبِطُون بشَرْعٍ، بل رُبَّما زادُوا في تَفَلُّتِهم مِن الشَّرعِ بدَعْوَى المَصْلَحَةِ الجِهادِيَّةِ.

هذا التقلُّب والاضطرابُ يجعلُنا في حيْرَةٍ في تحديد معيارِ الغلاةِ المعتمَدِ عند تقريرِ أمرٍ عظيمِ الشَّأنِ كمسألَةِ الدَّولَةِ الإسْلامِيَّةِ، ويَقودُنا كذلك إلى التَّأكيدِ على أنَّ الذي يمنعُ مِن إقامَةِ الدَّولَةِ الإسْلامِيَّةِ ليس قُوَى الكُفرِ وحدَها، وإنَّما هناكَ عوامِلُ داخِلَ الحركاتِ

الإسلاميةِ والجهاديةِ تؤكِّدُ عدمَ أهليَّةِ بعضِها للحديثِ عنِ الدَّولَةِ الإسْلامِيَّةِ، فضلًا عن التَّفكيرِ في كيفيَّةِ إقامَتِها، ومِن ذلك:

١- الدَّوَران مع المصْلحَةِ الحِزْبِيَّةِ دون المصْلَحةِ الشرعيَّةِ والدَّليلِ المعتبَرِ المبنيِّ على الدِّراسةِ الفقهيَّةِ والنَّظرِ الواقعِيِّ.

٢- عدمُ القَبولِ بمَنزلةٍ دونَ القيادةِ والتَّحكُّمِ الشامِلِ بالمشروعِ الإسلاميِّ.

٣- الإلغاءُ التَّامُّ لمبدأِ الشُّورَى.

٤- الرِّيبَةُ مِن مشاريعِ الإسلاميِّينَ والمجاهدينَ، واعتبارُها مقدِّماتٍ للانحرافِ والقضاءِ على الجهادِ.

٥- الاستبدادُ في مرحلَةِ الاستضعافِ: وهذه مِن العجائبِ! وهو أنْ يسلُكَ الإنسانُ سلوكَ الحاكِمِ المستبَدِّ في وقتِ ضعْفِهِ وعَجْزِه وعدَمِ حيازَتِهِ لأيِّ سلطةٍ، فهذَا النَّوْعُ فشَلُه مُتحقِّقٌ وخيبَتُه أكيدَةٌ، وخسارَتُه لا شكَّ فيها.

ويمكنُ إجمالُ ذلك في أربعةِ مواقِفَ لهم:

الموقف الأول: معارَضَة الإسلاميِّين في رُؤيتهم لمشروعِ الدَّولة.

الموقف الثاني: العَبَثُ بمَصِيرِ دولَةٍ إسلامِيَّةٍ لا يَحكُمونها.

الموقف الثالث: إقامَةُ دولةٍ في ظلِّ احتلالَينِ: إيراني وأمريكي.

الموقف الرابع: محاربة دولة الخِلافة بقِيادةِ إخوة المنهج!!

الموقف الأول
معارضَةُ الإسلاميين
في رُؤيتهم لمشروع الدولة

يَنظُرُ المُتَطَرِّفونَ لِما حولَهم مِن مشاريعَ إسلاميةٍ نظرَةَ شكٍّ في شرعِيَّتِها وفي جَدْوَاها، ومِن ذلك: طرائِقُ الإسلاميينَ في التَّمكِينِ للدِّينِ وإقامَةِ الدَّولَةِ، كالدَّعوةِ ونَشرِ العِلمِ، وتَصحيحِ العقيدةِ، وإحياءِ السُّنَنِ، أو العملِ السياسيِّ وتولِّي المناصبِ الحكوميَّةِ، وغيرِ ذلك من الوسائل والسُّبلِ المنتهَجَةِ؛ فإنَّها موضعُ نَقْدٍ واتِّهامٍ من جانِبِ المُتَطَرِّفينَ.

فالطريقةُ المشروعَةُ للعمَلِ والتَّغييرِ عندَ المُتَطَرِّفين هي حمْلُ السِّلاحِ والقِتالُ، و(كلُّ عملٍ خلافَ القتالِ والسَّعيِ له مباشرةً دون تردُّدٍ؛ فإنما هو إضلالٌ وإغواءٌ وتِيهٌ، وإن زُيِّنَتْ مسالِكُه، وتَجمَّلت نتائِجُه، وكلُّ دعوةٍ لغيرِ نَضْحِ الدَّمِ لا يُنظَرُ إليها ولا يُهتَمُّ بها)[1]، والتَّأكِيدُ على هذا المعنَى كثيرٌ فِي أدَبِيَّاتِ المتشدِّدينَ.

وهذا الموقِفُ السلبِيُّ مبنيٌّ على أساسِ عَدمِ القُدرَةِ عن القِيامِ بشيءٍ سوى التَّنظِيرِ وبثِّ هذِه الأفكارِ بينَ الشبابِ، والتَّهوينِ مِن أعمالِ الإسلاميِّينَ ونتائِجِ جهودِهِم، واتهامِهم بالتقصيرِ والانحرافِ، وغيرِ ذلك.

(١) مِن رسالة (نصح وإرشاد للقاعدين عن الجهاد) لأبي الليث الليبي (٢٠ جمادى الأولى ١٤٢٦هـ).

فهي ليستْ مرحلَةَ عملٍ عند المُتَطَرِّفينَ؛ لعدَمِ وُجودِ البيئةِ والظرفِ الملائِمِ؛ كالاضطرابِ السياسيِّ والفراغِ الأمنيِّ، وسقوطِ النظامِ أو احتلالِ البلادِ؛ ولذلك يَجْنَحُون إلى التَّشْوِيشِ على غيرِهم، ويُصبِح ذَمُّ كلِّ مَن حولَهم هو نشاطَهم الوحيدَ.

وقد يصِلُ التفكيرُ ببعضِهم إلى الزُّهدِ بمَشرُوعِ الدَّولَةِ الإسْلامِيَّةِ، إنْ تحقَّق مِن طريقِ مُخالِفيه مِن الإسلاميِّين؛ لأنَّ العملَ الشَّرْعِيَّ الوحيدَ في نظرِهم هو استمراريةُ الصِّراعِ مع الحُكوماتِ إلى أَجَلٍ غيرِ مُسمًّى!

يقولُ أبو محمَّدٍ المقدسيُّ: (إنَّ ما نُعانيه اليومَ مِن جهلِ أبناءِ المسلمين، والْتباسِ الحقِّ عليهم بالباطلِ، وعدمِ وُضوحِ مواقفِ الولاءِ والبراءِ، إنَّما هو مِن سكوتِ وكتمانِ العلماءِ والدعاةِ لهذا الحقِّ، ولو أنَّهم صرَّحوا وصَدَعُوا به وابتُلُوا كما هو حالُ الأنبياءِ لظَهَرَ وبانَ للنَّاسِ جميعًا، ولتمحَّصَ وتميَّزَ بذلك أهلُ الحقِّ مِن أهلِ الباطِلِ ولبُلِّغَتْ رسالاتُ اللهِ، ولزَال التلبيسُ الحاصِلُ على النَّاس، خاصَّةً في الأمورِ المهَّمةِ والخَطيرَةِ في هذا الزَّمانِ.. وإذا لم يظهَرْ دِينُ اللهِ وتوحيدُه العمليُّ والاعتقاديُّ للناسِ.. فأيُّ ثمارٍ تلك التي يَنتظِرُها ويرجُوها هؤلاءِ الدعاةُ؟

أهي (الدَّولَة الإسْلامِيَّة)؟ إنَّ إظهارَ توحيدِ اللهِ الحقِّ للنَّاسِ وإخراجَهم مِن ظُلُمات الشِّركِ إلى أنوارِ التوحيدِ، هو الغايةُ العُظمَى

والمقصودُ الأهمُّ، وإنْ نُكِّل بالدَّعَوَاتِ، وإن ابْتُلِيَ الدُّعَاةُ.

وما الدَّولَةُ الإسْلامِيَّةُ أصلًا إلَّا وسيلةٌ مِن وسائلِ هذه الغَايَةِ العُظْمَى.. وفِي قِصَّةِ أصحابِ الأخدودِ عِبرَةٌ لأُولِي الألبابِ؛ فإنَّ ذلك الغلامَ الداعيَةَ الصادِقَ ما أقامَ دولةً ولا صولةً، ولكنَّه أظهَرَ توحيدَ اللهِ أيَّما إظهارٍ، ونصَرَ الدِّينَ الحقَّ نَصْرًا مُؤزَّرًا، ونالَ الشَّهادَةَ، وما قيمةُ الحياةِ بعد ذلك؟! وما وزنُ القتلِ والحرْقِ والتعذيبِ إذا فاز الداعيةُ بالفوْزِ الأكبرِ.. كانتِ الدولةُ أم لم تكنْ)[1].

فالاتِّجاهُ المُتَطَرِّفُ يُبدِي اهتمامًا في هذه المرحلةِ بنقْدِ وذَمِّ واتِّهامِ كلِّ ما هو إسلاميٌّ مخالِفٌ له، مع أنَّه لا يُقدِّم أيَّ مشروعٍ حقيقيٍّ بديلٍ؛ بل يَكتفِي بمطالبَةِ النَّاسِ بخوْضِ مُواجَهاتٍ مُميتَةٍ غيرِ متكافِئَةٍ مع الأنْظِمَةِ، ويُفضِّلُ حياةَ السُّجُونِ والتَّشَرُّدِ في الجبالِ على الدَّعوَةِ إلى اللهِ، والصَّبْرِ على أذَى المُخالِفينَ، وَمِعْيارُ سَلامةِ المنهجِ هو حَجْمُ الأَذَى الذي يُصيبُ الدَّاعِيَةَ، وليس النتائِجَ؛ لأنَّها غيرُ مُهمَّةٍ.

وما يدعُو إليه المُتَطَرِّفونَ في مرحلةِ العجزِ عن حملِ السِّلاحِ هم أوَّلُ مَن يُخالِفُه؛ فنحنُ لا نرَى مواجهاتٍ دائمَةً بيْن المُتَطَرِّفينَ والأنظمَةِ، وإنَّما هي عملياتٌ محدودَةٌ معدُومَةُ الجَدْوَى بين مُدَدٍ مُتباعِدَةٍ.

(١) ملة إبراهيم (ص ٣٠-٣١).

الموقف الثاني
العَبَثُ بمصير دولةٍ
إسلاميَّةٍ لا يحكمونها

حينما اتَّجَهت القَاعِدَةُ إلى أفغانستان عام ١٩٩٦م كانَتْ أَشْبَهَ بطالِبِ اللُّجوءِ الذي لا يَملِك مِن أمْرِه شيئًا، ولا يَبغِي سوَى الأمانِ على نفسِه وأهلِه، لا سيَّما أنَّ تُهمَةَ الإرهابِ تُلاحِقُه، والكلُّ يطلُبُه.

عندَ وُصولِها لأفغانستانَ كانت القَاعِدَةُ شاهِدَةً على إنجازاتِ حركَةِ طالبان المتَمَثِّلة في:

١- فرْض الأمنِ ومحارَبة اللصوصِ وقُطَّاعِ الطُّرُقِ، وإعادَة الاستقرارِ للبلادِ.

٢- إقامَة دولةٍ تحكُمُ بالشَّرِيعَةِ.

وهو عملٌ ضخمٌ وجهد مشكورٌ بعد سَنواتٍ مِن الحربِ الأهليَّةِ والاقتتالِ الداخليِّ، ومعَ ذلك كانَ للقاعِدَةِ حساباتٌ أخرَى ومخطَّطاتٌ تَسبَّبت في الجنايةِ على ما حقَّقته طالبان.

نقَل عبدُ الباري عطوان عن أُسامةَ بنِ لادنٍ قولَه: (نُريد أن نَجُرَّ الأميركيِّين إلى مُحارَبتنا على أرضٍ إسلاميَّةٍ، فإنِ استطعْنا مُقاتَلتَهم على أرضِنا فسَنَهزمُهم حتمًا؛ لأنَّنا مَن سيُحدِّدُ ظروفَ المعركةِ في أرضٍ لا يَعرفونُها ولا يَفهمونَ طَبيعتها)[١].

(١) القاعدة .. التنظيم السري، ص٢١٧.

وهِي رؤْيَةٌ أكَّدَها سيفُ العدلِ حينما قال: (أمَّا هدفُنا الأخيرُ مِن هذه الضَّرَباتِ الموجِعَةِ الموجَّهَةِ إلى رأسِ الأفْعَى، فهو دَفْعُها للخروجِ مِن جُحرِها؛ ليسْهُلَ علينا تسديدُ الضرباتِ المُتَواليةِ لها، والتي تساعِدُ في إضْعافِها وتمزِيقِها، وتُعطينا بالتَّالِي مِصْداقيَّةً أكثَر لدَى أُمَّتِنا وشعوبِ الأرضِ المستضعَفَةِ؛ فالإنسانُ الذي يتلقَّى ضرباتٍ مؤلمَةً على رأسِهِ مِن عدوٍّ غيرِ مكشوفٍ وغيرِ واضِحِ المعالِمِ، تكونُ ردودُ أفعالِهِ متخبِّطةً وعشوائيَّةً وغيرَ مركَّزَةٍ، تُجبِرُه على القيامِ بأعمالٍ غيرِ مدروسَةٍ، قد تُوقِعُه في أخطاءَ خطيرةٍ، وقد تكونُ قاتلةً في بعضِ الأحيانِ، وهذا ما حدَث فعلًا، فكانت رِدَّةُ الفِعْلِ الأوْلَى غَزْوَ أفغانستان، والثانية غَزْوَ العراقِ، وقد تتوالَى الأخطاءُ، وتكونُ هناك رُدودُ أفعالٍ أخرى غيرُ مدروسةٍ إنْ شاء الله؛ رُدودُ الأفعالِ هذه، جعلتِ الأمريكان وحلفاءَهم، يُوجِّهونَ إلى أُمَّتِنا النائمةِ منذ حوالي قرنين ضرباتٍ قويةً إلى الرأسِ وأجزاءٍ مُهِمَّةٍ في الجسدِ، هذه الضَّرَباتُ سوف تُساعِدُ- بإذن الله- على جعْلِ هذِه الأُمَّةِ تَصحُو، وتُفيقُ من غَفلتِها، ويا ويْلَ الأمريكانِ والإنكليزِ ومَن والاَهُم، عندما تُصحو أُمَّتنا!!

إذًا كان هدفُنا إخراجَ الأمريكان من جُحرِهم، وجعْلَهم يقومُون بضَرَباتٍ قويَّةٍ يوجِّهُونها لجسدِ الأُمَّةِ الغائِبِ عن الوجودِ؛ لأنَّه دون هذه الضَّرَباتِ، لا أمَلَ في الإفاقَةِ والصَّحوةِ، فسلاحُنا الذي سوف ننتَصِرُ به علَى الأعداءِ، هم جماهيرُ الأمَّةِ جمعاءَ، بكلِّ

طاقتِهم وإمكانياتِهم الماديَّةِ والمعنويَّةِ)[1].

هاجَم انتِحاريُّو القَاعِدَةِ أبراجَ مركزِ التجارةِ العالميَّةِ في نيويورك، بعد ذلك أعلنتِ الولاياتُ المتحِدَةُ الحربَ على الإرْهابِ، وكان أوَّلُ ضحاياها حَركةَ طالبان ودولتَها الإسلاميةَ.

طالَبَ المُلا عمرُ زعيمَ القَاعِدَةِ أكثرَ مِن مرَّةٍ الابتعادَ عَن مُهاجَمَةِ أميركا مِن خلالِ وسائلِ الإعلامِ؛ لأنَّ ذلك يُسبِّبُ إحراجًا لإمارتِه الناشئةِ، وأنَّه لا طاقةَ له بمواجَهَةِ الضُّغوطِ الدوليَّةِ، لكنَّه لم يجدْ آذانًا صاغيَةً مِن قِبل بِن لادنٍ.

يَروِي أبُو الوليدِ المصريُّ[2] قصةَ مبايعَةِ ابن لادنٍ للمُلا عُمرَ؛ حيث تردَّد ابنُ لادنٍ في بادئِ الأمرِ، ثم أوكَل الأمرَ إلى أبِي الوليدِ ليُبايِعَ المُلا عُمرَ بالنيابَةِ عنه.

كتَبَ أبُو الوليدِ مُعلِّقًا على هذِه الحادثَةِ (لكنْ يبدُو أنَّ أبَا عبد الله كان قد مَضَى بعيدًا في الإعدادِ لضربَةِ سبتمبر ٢٠٠١م، والتِي لم يَكنْ أحدٌ يدرِي بها تَفصِيلًا سوى ثلاثةِ أفرادٍ، منهم أبو عبد الله نفسُه، ثُمَّ عددٌ محدودٌ لا يَزيدُ عن اثنينِ أو ثلاثةٍ يَعلَمُون على وجهِ اليقينِ أنَّ هناك ضَربَةً عسكريَّةً كبيرةً ضدَّ هَدَفٍ أمريكيٍّ غيرِ معلومٍ بالتحديدِ.

(١) تجربتي مع أبي مصعب، بقلم سيف العدل (القائد العسكري لقاعدة الجهاد).
(٢) مصطفى حامد المصري مؤرِّخ الأفغان العرب، وهو صِهرُ سيف العدل (من قيادات القاعدة).

وخارجَ الدائرةِ الضيِّقَةِ الأولَى، ثُمَّ الدائرةِ الضيقةِ الثانيةِ لم يكن أيُّ أحدٍ آخرَ يدرِي بما يدُورُ، وطبعًا على رأسِ هؤلاءِ الذين لا يعلمُون كانَ المُلا عُمَرُ الذي وقَعَتْ فوق رأسِهِ كلُّ التَّبِعَاتِ المُدَمِّرَةِ لِما حدَث؛ إذ سقَطَت إمارَتُه مع سُقوطِ المبانِي التجاريَّةِ في نيويورك.

وبالطبعِ كنتُ في صدَارَةِ الذين لا يعلمونَ، ولو أنَّني علمتُ لمَا دفعتُ بكلِّ تلك القوَّةِ لإتمامِ بَيْعَةِ أبِي عبدِ الله للمُلا عُمَرَ؛ **لأنَّها كانتْ في الواقِعِ عمليَةَ تضليلٍ لأميرِ المؤمنين؛ لصَرْفِ نظَرِهِ عن عَمَلٍ خَطيرٍ يُحاك مِن وُرَاءِ ظَهْرِهِ، ويتَعَدَّى على صَميمِ اختصاصِه كحَاكِمِ البلادِ، ويَتعدَّى على مَصيرِ وحياةِ شَعبِه الذي كان على وشْك التعرُّضِ لمجزَرَةٍ أمريكيَّةٍ، واحتلالٍ أمريكيٍّ أوربيٍّ أقْسَى وأشدَّ مِن الاحتلالِ السوفييتيِّ الذي لم يَكَدْ يَرْحَل عنِ البلادِ.**

ورَدَ في ذِهنِي سؤالٌ بعدَ فواتِ الأوانِ: لماذا أصرَّ أبو عبد الله على أن تكونَ بيعتُه للملا عُمَرَ بالنيابَةِ وليس مُباشَرةً؟

فخَطَر لي أنَّه وفَّر لنفسِهِ هامشًا أكبرَ للمناورَةِ عند سُؤالِهِ عن تلك البيْعَةِ عمَّا إذا كانتْ تمَّتْ بالفِعلِ أم أنها لم تَتمَّ؟

فإذا استدْعَى الأمرُ نفيَها قال: إنَّه لم يُبايع، وكان صادقًا في ذلك؛ لأنَّه لم يُبايع شخصيًّا، وإذَا استدْعَى الأمرُ إثباتَ البيعةِ،

قال: إنَّه بَايعَ وكان صادِقًا أيضًا؛ لأنَّ البيعةَ وقعَت بالفعلِ، ولكنْ بالنِّيَابَةِ)[1].

لم يكنْ قرارُ شنِّ الهجَمَاتِ على أميركا قرارًا حِزبيًّا، بل هو قرارُ بِضْعَة أفرادٍ فيما يُعرَف بتنظيمِ القَاعِدَةِ، أيْ: إنَّ الأمرَ تجاوَزَ حدودَ الحِزْبِيَّةِ الضَّيِّقةِ، ليُصبِحَ قرارَ الجهادِ والتصرُّفِ بمستقبَلِ العِبَادِ مُجرَّدَ اجتهادٍ شخْصِيٍّ، ولتوضِيحِ هذا نقولُ:

لم يكنْ اللاجِئونَ العربُ في أفغانستان على منهَجٍ سياسيٍّ وفكرِيٍّ واحِدٍ، بل كانتْ هناكَ مَجامِيعُ مُتعدِّدةٌ: مجموعةُ أسامة بن لادن، الظواهري وجماعة الجهادِ، وهناك شخصياتٌ جهاديَّةٌ مستقلَّةٌ، وهناك فِئاتٌ أخرى، وهم غيرُ متَّفِقينَ بحُكمِ تنوُّعِ خلفيَّاتِهم الفكريةِ وأغراضِهم التي جاؤوا من أجلها لأفغانستان، فمنهم مَن جاء لينعَمَ بالعيْشِ في ظلِّ حكمٍ إسلاميٍّ، ومنهم مَن يُريدُ الانتقامَ مِن النظامِ السياسيِّ الذي يَحكمُ بلادَه، ومنهم مَن يفكِّر بمهاجَمَةِ أميركا، ومنهم مَن لا يؤمِنُ بشيءٍ مِن المشاريعِ الموجودةِ في الساحَة بدءًا من طالبان فما دونَها.

يقولُ أبو مُصعبٍ السوريُّ (تقاطَرَتِ الجماعاتُ الجهاديةُ، ورموزُ الأفغان العربُ، وتنظيماتُ الجهادِ، وكثيرٌ مِن الأفراد إلى أفغانستان، وازدَهَر ذلك خلال الأعوام (١٩٩٨ - ٢٠٠١م) وبدا أنَّ

(١) السائِرون نيامًا (ص ٢٣-٣١).

ما أسميتُه (الشَّوط الثانِي للأفغانِ العربِ) قد بدَأ في أفغانستان.. بدَا لي واضحًا مِن خلالِ عددٍ مِن اللقاءاتِ والمناقشاتِ التي شرَحْتُ فيها معظمَ أفكارِ هذا الكِتابِ لعددٍ من قياداتِ التيارِ الجهاديِّ والمشرفينَ على جماعاتٍ جهاديَّةٍ كانت موجودةً في السَّاحَة هناك، أو آخرينَ وفَدُوا أفغانستانَ مِن أجلِ إنشاءِ جماعاتٍ جهاديَّةٍ على نموذجِ تلك القائمَةِ بنفْسِ الأُسُسِ والمفاهِيمِ الفكريَّةِ والحركيَّةِ التقليديَّةِ للجهاديين، بدَا أنَّ عمومَهم ممتلئٌ قناعةً بالأهدافِ التي رسمُوها لأنفسِهم، والتنظيماتِ والأُسُسِ التي أقاموا عليها أعمالَهم! وأنَّهم غيرُ مستعدِّينَ لإحداثِ أيِّ نقلَةٍ جوهريَّةٍ للتفكيرِ والعملِ على أُسُسٍ جديدةٍ. وأنَّ الفكرةَ التي فارَقْتُهُمْ عليها سنة ١٩٩٠م، ما تزالُ سائدةً عندَهم، وهي (إنشاءُ تنظيماتٍ سريَّةٍ قُطْرِيَّةٍ، تُريدُ إحداثَ ثَوَراتٍ شعبيَّةٍ، أو أعمالَ عصاباتٍ مِن أجلِ الإطاحةِ بحكوماتِ بلادِها، وإقامَةِ حكوماتٍ إسلاميَّةٍ على أنقاضِها)، وكلُّ ما تبتغِيه تلكَ التنظيماتُ مِن أفغانستانَ- من جديد- هو أنَّها محطَّةُ إنشاءٍ وتدريبٍ وحشْدٍ، أو ملاذٌ آمِنٌ لكوادِرِها وعناصرِها، فرارًا من الهجمَة الدوليَّةِ لمكافَحَةِ الإرهابِ، مع قناعاتٍ تتفاوتُ عندَهم مِن حيثُ القناعَةُ بالإمارَةِ الإسلاميَّةِ ودارِ الإسلامِ الناشِئَةِ في أفغانستان، وشرعيَّةُ أميرِ المؤمنين.. حيث تتدرَّجُ القناعاتُ من الانعدامِ التَّامِّ عندَ بعضِ مَن يَنسِبُون أنفسَهم إلى (السَّلَفِيَّةِ)، إلى القَنَاعَةِ التَّامَّةِ عندَ البعضِ. أمَّا المعرَكَةُ العامَّةُ مع الهَجْمَةِ الصليبيَّةِ

اليهوديَّةِ فلم يَبْدُ أنَّها تُشكِّلُ همًّا عمليًّا لتلك التنظيماتِ إلَّا على صعيدِ التَّعاطُفِ العامِّ مع قضايا المسلمين)[1].

بل حتَّى الفصائلُ المكوِّنَةُ للقاعدَةِ عام ١٩٩٨م لم تكن سوَى أسماءٍ لمنظَّماتٍ بلا أثَرٍ فِعْلِيٍّ لاندماجِها وتوحُّدِها؛ فجماعةُ الجهادِ كانتْ على خلافٍ مع مُنظِّرِها الشَّرعِيِّ (عبدِ القادر بنِ عبدِ العزيز)؛ حيث تركَهم ثم اتَّهَمَهم لاحقًا بالعبَثِ في كتابِه (الجامِع في طلَبِ العلمِ الشريفِ)[2]، فأيُّ حالٍ لمجموعةٍ جهاديَّةٍ يذُمُّها مسؤُولُها الشَّرعِيُّ، وما الفرقُ بين منظمةٍ جهاديَّةٍ بلا مسؤولٍ شرعيٍّ، وبينَ حزبٍ سياسيٍّ لا يتبنَّى أجندةً دينيَّةً؟!

ولم يكنْ هناكَ اتفاقٌ داخِل جماعَةِ الجهادِ على الانْضمَامِ للقاعِدَةِ

يقولُ أبو مُصعَبٍ السُّورِيُّ (أعلَنَ الدكتورُ أيمنُ بَيعَتَه للشيخِ أسامَةَ بنِ لادنٍ، وضمَّ تنظِيمَ الجهادِ لتنظِيمِ القَاعِدَة أواسِطَ سنةِ (٢٠٠١م) رسميًّا؛ ممَّا أدَّى لانشقاقِ الحَفْنَةِ مِن الرِّجالِ الذين تبَقَّوْا معه مِن الكوادِرِ في أفغانستان إلى فريقين؛ فريقٌ وافَقَه على هذا التوجُّهِ، وفريقٌ أصرَّ على متابَعَةِ الجهدِ في برامِجِ العملِ لإقامَةِ حكومةٍ إسلاميَّةٍ في مِصرَ على أنقاضِ حكومَةِ حُسنِي مبارك؛ عن طريقِ الجِهادِ بالأُسلوبِ القديمِ.. واعتبَرُوا حَلَّه للتنظيمِ غيرَ

(١) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية (٥٨-٥٩).

(٢) انظر الملحق رقم (١).

مشروعٍ، وأنَّ مهمَّةَ الأميرِ إدارةُ التنظيمِ وليس حَلَّهُ وإلحاقَه بتنظيمٍ آخرَ.. وقادَ هذا الفريقَ الأخُ أبو السَّمح (ثروت صلاح شحاتة)، وهو محامٍ مِن الكوادِرِ القديمَةِ في التنظيمِ ومِن قُدماء الأفغانِ العرَبِ أيضًا)[1].

أمَّا الجماعَةُ الإسلاميةُ المصريَّةُ فلم يكنْ يمثِّلُها سوى رِفاعِي طَه، بينَما كان كِبارُ قادَةِ الجماعَةِ في سجونِ مصر قد اتَّفَقُوا على مبادَرَةِ وقفِ العنفِ عام ١٩٩٧م، وأخرَجُوا دِراساتهم التَّصْحِيحيَّةِ بعدَ ذلك.

أمَّا مجموعةُ أسامَة بنِ لادنٍ فلا يُعرَف منهم أحَدٌ سوى أبُو حفص المصريُّ (محمد عاطف) كقائِدٍ عسكريٍّ للتنظيمِ، أما مُفتِي القَاعِدَةِ (أبو حفص الموريتاني محفوظُ ولد الوالد)؛ فقَدْ ترَكَ التنظيمَ؛ لعدَمِ التزامِهِ الشرعيِّ، كما أفصَحَ عن ذلك الموريتانيُّ نفسُه بعدَ الإفراجِ عنه.

الحاصِلُ أنَّ ما يُعرَف بالقَاعِدَةِ لم يكن جسمًا متماسكًا، ولم تكنْ أطرَافُه مُتجانِسَةً، وكان مُجَرَّدَ أشخاصٍ تُخطِّطُ وتدَبِّرُ كلَّ شيءٍ دونَ مُشاوَرَةِ الجهاديِّين، فضلًا عن ولاةِ الأمرِ الشرعيِّين في تلك البلادِ.

فمَشروعُ القَاعِدَةِ استمَدَّ رُؤْيتَه مِن الفردِ الأوحَدِ الذي يَتحكَّمُ

(١) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية (ص ٧٣٦).

بالتَّنظِيمِ وحاشيتِهِ المُقَرَّبَةِ، وهي رُؤْيَةٌ ليسَ لها مشروعيَّةٌ دينيَّةٌ لأنَّ أصحابَها ليسوا مِن ذَوِي الاختصاصِ الشَّرعِيِّ، بل أكثَرُ النَّاسِ فِقْهًا في البيئةِ الجهاديَّةِ كانوا بمعزلٍ عن اتخاذِ القرارِ أو المساهَمَةِ في صِناعَتِهِ.

لذلك يرَى أبو مُصعَبٍ السوريُّ أنَّ أسامَةَ بنَ لادنٍ تمكَّنَ مِن (**جَرِّ التيارِ الجهاديِّ بكامِلِه إلى السَّاحَةِ التي اختارَها والفِكرَة التي يراها للمُوَاجَهة**، وهي التحوُّلُ مِن مُواجَهَةِ الأنظمَةِ والحُكُوماتِ إلى مُواجَهَةِ مَن يُسانِدُها ضِمْنَ النظامِ العالميِّ الجديدِ، وهي أمريكا وكِبارُ حلفائِها)[1].

يؤكِّد مصطفى حامِد أنَّ بعضَ العرَبِ عارَضُوا بيانَ أسامةَ بنِ لادن (إعلانَ الجهادِ على الأمريكيين) وقالوا: (إنَّه جاءَ قبلَ سيطرَةِ حركَةِ طالبان على العاصِمَةِ كابول، والذي جعَلَها حكومَةً رسمِيَّةً للبلادِ، الأمْرَ الذي يَستدعِي إدخالَ تعديلاتٍ جوهريَّةٍ، فهُناكَ الآنَ حُكومَةٌ شرعيَّةٌ لا بدَّ مِن الخُضُوعِ لسُلطانِها وأوَامِرها، وبرامِجُ مِثلُ إعلانِ الجهادِ لا بدَّ أنْ يَتِمَّ بالمشاوَرَةِ مع حَاكِمِ البلادِ أَميرِ المؤمنين، وطبقًا لتصوُّرَاتِه أو بالأحْرَى قُدرَتِه على الاحتمالِ.

وإذَا لم يَتِمَّ هذا التنسيقُ فسيَحْدُثُ الصِّدَامُ عاجِلًا أو آجلًا بيْنَ ابنِ لادنٍ والعربِ معه وبينَ الإمارَةِ، والعربُ مجرَّدُ ضيوفٍ وهُم

(١) دعوة المقاومة الإسلامية العالمية (ص٧٨٧).

الطَّرَفُ الأضعفُ؛ فإمَّا أنهم سيُرْغَمُون على مُغادَرَةِ البِلادِ أو أنْ يَصْمُتَ ابن لادن، وربَّما توقَّفَت جميعُ نشاطاتِه الأخرَى، خاصَّةً معسكراتِ التَّدرِيب.

وحدَث إجماعٌ عرَبِيٌّ في العامَيْنِ الأخيرينِ قبلَ خُرُوجِهم الأخيرِ من أفغانستان بأنَّ عليهم وعلَى ابنِ لادنٍ بشكلٍ خاصٍّ الانتباهَ إلى أن أفغانستان هي آخِرُ جزءٍ على وَجْهِ الأرضِ يَقبَلُ بإقامتِهم بشكْلٍ طبيعِيٍّ وبدونِ أن يكونوا مُهَدَّدِينَ خارجيًّا أو داخليًّا، ولم يكن ثمَّةَ خلافٌ بينهم على أنَّ تَقدِيرَ أمورِ الدَّولةِ وإدارَتها هو مِن صلاحيَّاتِ ومسؤولياتِ المُلَّا عُمَرُ أميرُ المؤمنينَ، وأنَّه ليسَ مِن حقِّ ابنِ لادنٍ الخروجُ عن هذِه السُّلطَةِ أو عِصيَانُها، أو تكوينُ دولةٍ موازيةٍ داخلَ أفغانستان.

كان ابن لادن يُوافِق ظاهريًّا على ذلك، ولكنَّه برْهَن على أنَّه الشَّخْصُ الوحِيدُ في أفغانستانَ الذي يَرَى لنفسِه الحَقَّ وأنَّ عندَه القدرةَ أنْ يفعلَ ما يريدُ، فتَمَكَّنَ مِن قيادةِ الرَّكْبِ الإسلامِيِّ في أفغانستانَ إلى الهاويَةِ)[1].

يقول الدكتور عبدُ القادر بن عبد العزيز: (عاشَ تنظيمُ القَاعِدَةِ وكلُّ قيادَاتِه في أفغانستان قبلَ ١١/ ٩/ ٢٠٠١م، في حمايةِ حكومَةِ طالبان التي عانَتْ مِن الحصارِ الدَّوْلِيِّ الخَانِقِ؛ بسببِ اعتقادِها أنَّ

(١) صليبٌ في سَماء قندهار (ص ٨٦ -٨٨).

حمايَةَ مَن لجَأ إليها مِن المسلمينَ واجِبٌ دِينِيٌّ. وقد أدَّى الحِصارُ إلى وَضْعٍ اقتصادِيٍّ في غايَةِ البُؤْسِ؛ ماتَ بسبَبِه مِئاتُ الأطفالِ بسببِ الجوعِ والبردِ.

وكان السَّببَ المباشِرَ لهذا الحصارِ الذي فرضَتْه الأممُ المتحدةُ: رفْضُ طالبان تسليمَ بنِ لادن للمُحاكَمَةِ؛ لدَوْرِه في تفجيرِ السفارتَينِ الأميركيتَينِ في نيروبي ودار السلام في أغسطس (آب) ١٩٩٨م، فطلَبُوا مِن طالبان أن تَطْرُدَه، فرفَضَتْ. وطلَب المُلا مُحمَّد عُمَرُ (أميرُ إمارة طالبان الإسلامية) مِن بن لادن ألَّا يَصْطَدِمَ بأميركا، وأنَّه لا طاقةَ لطالبان بهذا الصِّرَاعِ، وأنَّ طالبان لم تَبْسُط سيطرَتها على كلِّ أفغانستان؛ (إذْ كانَت المناطِقُ الشماليَّةُ تحتَ سيطرَةِ أحمدَ شاه مَسعُود وحلفائِه). وهذه التَّحذيرَاتُ نفسُها قالَها لابن لادن قُدامَى الإخوةِ المجاهدينَ العربِ المقيمينَ في أفغانستان، وغيرُ المنتمين لـ(القَاعِدَةِ)، مِثلُ أبي مصعب السوريُّ، وأبي عبد الرحمن الكنديُّ. إلَّا أنَّ ابن لادن لم يُبالِ بهذا كلِّه ولا بِبيْعَتِه للمُلا مُحمَّد عمر التي تُوجِبُ عليه طاعَتَه، كما لم يُبالِ بالحصارِ المفروضِ على أفغانستان، ولا بالأطفالِ الذين يَمُوتُون بسببِه، والذين لم يُقدِّم لهم أيَّ مَعُونَةٍ، واستمَرَّ في التجهيزِ لتفجيراتِ ٩/١١ التي انتهتْ بالاحتلالِ الأميركيِّ لأفغانستانَ بعد ثلاثِ

سنينَ مِن إعلانِ جبهتِه)[1].

ويقولُ أيضًا: (لقد بدَأ الإعدادُ لتفجيراتِ ١١/ ٩ قبلَ سَنتين من وُقُوعها، ولمَّا اكتمَلَت التجهيزاتُ أعلَن ابنُ لادن في يونيو ٢٠٠١م أنَّ هناك عَمليةً كبرى ستقَعُ ضدَّ أميركا بدونِ تحدِيدٍ لمكانِها أو تفاصِيلِها. فاعترَض عليه بعضُ أتْباعِه خاصَّة مِن لجنتِه الشرعيَّةِ بأنَّ أميرَهم الملا محمد عُمرَ نهاهم عِن الصِّدَامِ مع أميركا، وأنَّه لا طاقةَ له ولا لِدَولتِه بذلك، فاختَرَع ابنُ لادنٍ هذه البِدْعَةَ (مَحِلِّية الإمارَةِ)؛ للرَّدِّ على مُنتقِديه مِن أتْباعِه، وقال لهم: إنَّ محمد عُمر أميرُهم داخِلَ أفغانستان، ولا دَخْلَ له بما يَفعلُونه خارجَها[2]).

ويُضيفُ: (لم يكنْ أحَدٌ مِن أتباعِ ابنِ لادن في أفغانستان على علمٍ بتفاصيلِ ما سيقَعُ قبلَ ١١/ ٩ إلَّا خالِد شيخ، وأبو حفص المصريُّ، وشخصٌ ثالث- ليس هو الظواهري- تم إخبارُه قبلها بأربع وعشرين ساعة فقط، إلَّا أنَّ بقيةَ أتْباعِ ابن لادنٍ كانوا على علمٍ بعمليةٍ كُبرَى ضدَّ أميركا منذ يونيو ٢٠٠١م بدونِ مَعرفةِ مكانِها أو تفاصيلِها، واعترَضَت لجنتُه الشرعيَّةُ على بعضِ المخالَفاتِ الفقهيَّةِ كوجوبِ استئذانِ أميرِهم الملا محمد عُمرَ ومسألَةِ التَّترُّسِ، إلَّا

(١) كتاب مستقبل الصراع في أفغانستان (الحلقة الثانية)، صحيفة الشرق الأوسط (٢٦/ ١/ ٢٠١٠م) (العدد ١١٣٨٢).

(٢) كتاب (التعرية لمذكرة التبرئة) (الحلقة الثالثة) (صحيفة الشرق الأوسط (٢٠/ ١١/ ٢٠٠٨م) (العدد ١٠٩٥٠).

أنَّهم لم يناقِشُوا (مسألَةَ الغدْرِ بالعدُوِّ- أميركا- بعدَ دُخولِ دارِه بالتَّأشيرَةِ)؛ لأنَّهم لم يعلموا أن العمليَّة ستكون كذلك)[1].

ويقولُ عبد الباري عطوان: إنَّ (العديد مِن الشَّخصياتِ الرَّئيسةِ في التنظيمِ عارَض هجماتِ ١١ أيلول ونذكُرُ مِن هؤلاءِ أبا مصعب السوريَّ، وخصوصًا في سياقِ هذا الفصلِ أبَا مصعبٍ الزرقاويَّ.

ووفقًا لعمر محمود عثمان (أبو قتادةَ الفلسطينيُّ) كان اعتراضُ الزَّرقاوِيِّ على هجماتِ أيلول السببَ الرئيسَ الذي جعَلَه يعزِفُ عن إعلانِ الولاءِ للشيخِ بن لادن في تلك المرحلةِ، ويُؤْثِرُ العمَلَ بشكلٍ مستقلٍّ عن القَاعِدَةِ، وقد أشارَ أبُو قتادَة إلى أنَّ ثمَّةَ أعضاء مِن الحلقَةِ الداخليَّةِ للقاعدةِ تَركُوا التنظيمَ آنذاك؛ لِمَا اعتبرُوه قرارًا كارثيًّا؛ فقد توقَّعُوا أنْ تَرُدَّ الولاياتُ المتحِدَةُ على الهُجومِ بوحْشِيَّةٍ منقطعَةِ النَّظِيرِ، وتدَمِّرَ الدَّولَةَ الإسْلامِيَّةَ في أفغانستان، والأهمُّ أنَّ القَاعِدَةَ ستخسَرُ عندئذٍ الملجَأَ الآمِنَ الضَّرُورِيَّ لبَقائِها وتوسُّعِها)[2].

لم يحصلْ صِدَامٌ بين المجاهدين والقَاعِدَةِ، لكنَّ الذي حصَل هو عدمُ اندماجِ القَاعِدَةِ في الدَّولَةِ الإسْلامِيَّةِ القائمَةِ، وهذا إخلالٌ

(١) كتاب (التعرية لمذكرة التبرئة)، (الحلقة الخامسة) (صحيفة الشرق الأوسط) (٢٢ / ١١/ ٢٠٠٨م) (العدد ١٠٩٥٢).
(٢) تنظيم القاعدة السري (ص ٢١٨-٢١٩).

بجانِبِ مُوالاةِ المسلمينَ ووُجوبِ نُصرَتهم، بدلًا مِن التَّسبُّبِ في هزيمتِهم وإطماعِ العدوِّ فيهم.

وإنْ كان المُتَطَرِّفونَ يَعيبونُ على الإسلاميِّين العربِ عدمَ مُناصرتِهم لطالبان، وهجرتَهم إلى أفغانستان ومساعدتَهم بالخبراتِ وتعليمِ أبنائهم، ويَعدُّون ذلك دلالةً على ضَعْفِ عقيدةِ الولاءِ والبراءِ؛ فإنَّ القَاعِدَة تلبَّسَتْ بما هو أكثرُ، وتسبَّبَت بمصيبَةٍ أكبرَ مِن التقاعُسِ عن النُّصرَةِ، وهو التسبُّبُ بالهزيمَةِ وتضييعُ مكاسِبَ متحقِّقةٍ مِن أجلِ أوهامٍ غيرِ موجودَةٍ إلَّا في عقولِ أصحابِها.

فالتخطيطُ لضربِ أميركا دونَ مُراعاةٍ لمصلحَةِ طالبان لا يُوحي بوجودِ انتماءٍ ومحبَّةٍ وحرصٍ على الدَّولَةِ الإسْلامِيَّة، وتعريضُها للحرجِ والخطرِ ينفِي وُجودَ موالاةٍ حقيقيَّةٍ، لا سيَّما مع تقديمِ مصلحةِ القَاعِدَةِ في تنفيذِ عملياتِها على مصلحَةِ سَلامةِ الإمارَةِ مِن أيِّ تهديدٍ خارجيٍّ كـ(عدوان عسكريٍّ، أو حصار اقتصاديٍّ).

فعدمُ المبالاةِ بمَصيرِ نظامِ طالبان والشَّعبِ الأفغانيِّ المسلِمِ، يعنِي غيابَ مفهومِ الولاءِ والبراءِ مِن عَقليَّةِ الغُلاةِ عندَ تَعاطِيهِم مع قضايا الأُمَّةِ، وهي التُّهمَةِ نفسُها التي يَتَّهمُون بها الإسلاميينَ الذين يَعجِزُون عن نُصرَةِ المستضعفينَ المسلمينَ في هذا البلدِ أو ذاك، بل هِي أشَدُّ في حقِّهم؛ لأنَّ المسلِمَ العاجِزَ لا يستوي مع

المسلِمِ الذي كان بإمكانِه أنْ يُحافِظَ على دولةٍ إسلاميَّةٍ فسَاهَم في سُقوطِها.

في أفغانستان لم يَكُن مَطلُوبًا مِن المُتَطَرِّفين إعلانُ البراءَةِ مِن الكفَّارِ ومُناصَبتُهم العَدَاءَ، ولكنْ كانَ الواجبَ عليهم موالاةُ المؤمنين، ولزومُ جماعتِهم، وطاعةُ أميرِهم، وعدَمُ التسبُّبِ بأيِّ ضَرَرٍ يَنالُ أمنَهُم واستقرارَهم، وهذا ما لم يُفلحُوا فيه.

الموقف الثالث
إقامَةُ دولَةٍ في ظل
احتلالَينِ إيراني وأمريكي

كما مرَّ معنا سابقًا، فقرارُ القَاعِدَةِ هو قَرارُ بضعةِ أفرادٍ لا يَملكُونَ أيَّ رُؤيَةٍ شَرعِيَّةٍ أو سياسيَّةٍ، وإنَّما يُحاولونَ استمدَادَ الشَّرعِيَّةَ مِن الواقِعِ السَّيئِ للأُمَّةِ، وليس مِن إعدادِ حُلولٍ واقعيَّةٍ أو تَقدِيمِ رؤًى قابلَةٍ للتطبيقِ.

والقرارُ الكارِثِيُّ (هجمات ١١ أيلول) تكرَّر في العراقِ، بل ظهَر التعصُّبُ الحِزْبِيُّ بأسوأِ صُوَرِه وألوانِه، وتبيَّن أنَّ قيادةَ القَاعِدَةِ تقيمُ نفسَها مقامَ النصِّ الشرعيِّ المُحكَمِ القَطْعِيِّ الثُّبُوتِ والدَّلالَةِ، وتَرْهِن الجهادَ ومصالحَ العبادِ والبلادِ بقراراتِ أفرادٍ لا تَعلمُ شيئًا عن أعمالِهم، ولا تَتَبيَّن حقيقةَ ما يقومونَ به.

والأكثرُ مِن ذلك أنَّ بعضَهم وضَع إطارًا نظريًّا لهذِه الحِزْبِيَّةِ بطريقةٍ تتضمَّنُ الشَّكَّ في المخالِفِ والتهوينِ مِن برنامجِه والتَّحذِيرِ منه، وحصَرَ الأهليَّةَ والشرعيَّةَ في جماعةِ القَاعِدَةِ ومَن تابعَها، بعبارةٍ أوضحَ هو نسْفٌ لمبدَأِ الولاءِ والبراءِ، لكنْ بطريقةٍ غوغائيَّةٍ تتضمَّنُ قنابِلَ دُخَّانِيَّةً وعواصِفَ تَكفِيرٍ وطَعْنٍ في المنهَجِ، بحيثُ تُغَطِّي على حقيقةِ العَبَثِ بمعيارِ الولاءِ والبراءِ الذي تَحَوَّلَ مِن (مدَى المُوافقَةِ والمخالفَة للشَّرْعِ) إلى (مدَى المتابَعةِ أو

المعارَضَةِ لاجتهاداتِ زُعماءِ القَاعِدَةِ).

خُلاصَةُ ما جرَى في العراقِ أنَّ القَاعِدَةَ أعلنَتْ قِيامَ دولةٍ إسلاميَّةٍ في تشرين الأول عام ٢٠٠٦م، وهو قرارٌ:

- تمَّ اتخاذُه دون الرُّجوعِ إلى كبرى الفصائلِ المجاهدَةِ المعتدلَةِ والمُتَطَرِّفةِ على حدٍّ سواء، ودون المبالاةِ بكيفيةِ قيامِ هذا المشروعِ دونَ موافقةِ وانضمامِ هذه الفصائلِ، وهي (جماعةُ أنصارِ الإسلام[1]، الجيشُ الإسلاميُّ في العراق، جيشُ المجاهدينَ، كتائبُ ثورةِ العشرين) وغيرُها من التَّنظيماتِ والمجاميعِ الجهاديةِ.

- كانتِ المحافظاتُ السُّنيةُ مناطقَ منكوبةً بالحربِ المستمرَّةِ جراءَ تسلُّطِ الشيعةِ والأمريكان من جهةٍ، وتَفجيراتِ القَاعِدَةِ وعملياتِها من جهةٍ ثانيةٍ؛ فالقتلُ حدَثٌ يتكرَّرُ يوميًّا، والخِدْماتُ في نقصٍ مستمرٍّ، والأوضاعُ المعيشيَّةُ والحالَةُ الاقتصاديَّةُ سيِّئَةٌ للغايَةِ، والنَّاسُ تبحثُ عن أيِّ مخرجٍ من دوَّامةِ القتلِ وغيابِ الأمنِ وتعطُّلِ الحياةِ الطبيعيةِ.

- كان النفوذُ الشيعيُّ في بغداد يتَّسعُ يومًا بعدَ يومٍ، ومليشياتُ جيشِ المهدي تلتَهِمُ الأحياءَ السُّنيةَ وتُهَجِّرُ أهلَها، وتُفجِّر مساجدَهم، وتقتلُ شبابَهم، وباتَ من المألوفِ خلال عامي (٢٠٠٦-٢٠٠٧م) أن نسمَع عن تحذيراتٍ من إفراغِ بغداد من أهلِ السُّنَّةِ.

(١) وكانت في تلك الآونةِ تُسمَّى (جيش أنصار السُّنة).

مَشروعُ الدَّولَة الإسْلامِيَّة في ظلِّ احتلالَيْنِ- أمريكيٍّ وإيرانيٍّ- هو آخِرُ ما يمكنُ التفكيرُ به في العراقِ؛ فلا الظُّروفُ ولا الإمكاناتُ ولا القدراتُ متوفرةٌ بالحدِّ الأدنَى لمجرَّدِ التفكيرِ، إضافةً إلى مُعاناةِ السُّنَّةِ من هزيمةٍ في معركتِهم مع المليشياتِ الشيعيةِ، أيْ: إنَّه لا يوجدُ نصْرٌ حقيقِيٌّ حتَّى يُمكِنَ الحديثُ عن تَحصينِ المكاسبِ وصيانةِ ثمراتِ الجهادِ بإعلانِ الدَّولةِ.

ولْندَعِ المقاومَةَ تَحكِي واقعَ أهلِ السُّنةِ في تلك السَّنواتِ العَصيبةِ، وكيفَ اجتمَعَ عليهم البلاءُ مِن جهةِ المُحتلِّ والشيعةِ والقَاعِدَةِ: (زادتْ مصيبةُ أهلِ السُّنةِ بتكالُبِ الرَّوافضِ مع المحتلِّين عليهم؛ ليزدادَ البلاءُ أضعافًا مضاعفةً؛ حيث تفنَّن هؤلاء المُجرمونَ في أساليبِ القتلِ والتعذيبِ والتشريدِ، وانتهاكِ كلِّ المُحرَّمَاتِ؛ فلم تبقَ جَريمةٌ اقترَفها المحتلُّون بحقِّ أهلِ السُّنةِ إلَّا وسارَع لمثلِها الصفويُّون، وزادُوا عليها، وكأنَّهم في سباقٍ على اجتثاثِ ملَّةِ الإسلامِ من هذا البلدِ!

فلم تبقَ حُرمَةٌ لأهلِ السُّنةِ مِن مسجدٍ، أو مصحفٍ، أو عِرضٍ، أو مدينةٍ، أو قريةٍ؛ إلَّا تقاسَمَها هؤلاء وتسابَقُوا عليها، حتَّى ظهَرَ الأمرُ وشاع الخبَرُ، واشتهرتْ لكلا الفريقينِ مِن الجرائمِ ما يميِّزُه. فسِجنُ أبي غريب للمحتلِّينَ والجادريَّةِ والداخليةِ، والحلة والنسور وديالى للروافض. وجريمةُ عبيرِ الجنابيِّ للمحتلِّين، وصابرين

وأخواتها للصفويِّين. ومساجدُ الفلوجةِ للمحتلِّين، ومساجدُ البصرةِ وبغداد وغيرها للصفويِّين، وهكذا أمسَى السباقُ المحمومُ بين الفريقين، وكان الذي يفتحُ المزادَ الأمريكان، ويَمضي بعدَهم هؤلاء؛ فالأولُ أعطَى الرُّخصَةَ بلسان حاله وليس مقالِه فحسبُ.

وأمَّا شبابُ أهلِ السُّنةِ فهم الآخَرون تقاسَمهم الفريقانِ، فسِجنُ بوكا وسوسة ومطار بغداد للأمريكان، وسجونُ وميليشيات جيشِ الدَّجَّال وفيلق غَدْر تسرَحُ وتمرَحُ برعايةِ الفريقينِ؛ لتفعَلَ ما تُريدُ وتَشتَهِي.

ومع كلِّ هذا الأذَى العظيمِ والبلاءِ المبينِ لم يزَلْ أهلُ السُّنةِ ماضينَ في طريقِ الجهادِ والاستشهادِ ولم يُظهِرُوا خيانةً أو غدرًا بالمجاهدين، أو تراجعًا في احتِضانِهم وإعانتِهم وتسديدِهم. وهم في كلِّ ذلك يراهنُون على قضيةٍ واحدةٍ: أنْ يسلُكَ المجاهدون سُبلَ التمكينِ الشرعيَّةِ حتى يُمَكِّنَهم اللهُ سبحانه وتعالى في الأرضِ، وتكونَ لهم القوةُ والغلَبَةُ والقرارُ السياسيُّ والعسكريُّ والاقتصاديُّ، وعندها يكون المجاهدون قد بلَغُوا الهدفَ المنشودَ عندها سيقولُ أهْلُ السُّنَّة: أبدَلَنا الله خيرًا ممَّا أخَذ منَّا، فبدَل حُكمِ البعثيينِ العلمانيِّين سيحكُم الآن أهلُ المساجِدِ والقرآنِ والتوحيدِ. وسيكون كِتابُ اللهِ هو الحاكِمَ، والشَّرِيعَةُ هي القاضِيةَ بين النَّاسِ، وحينَها سنأمَنُ على دِمائِنا وديارِنا وأموالِنا ودينِنا ووجودِنا في هذا البلدِ.

فلن يظلِمَنا أحدٌ ولن يُهينَنا أو يذلَّنا أَحدٌ، فهاهُم المجاهدونَ دِرْعُنا الواقِي من كلِّ ذلك، فلَن يجدَ أحدٌ مِن الأعداءِ علينا سبيلًا، ليس ذاك فحسبُ، بل إنَّنا سنحمِلُ مع الأجيالِ نصرًا معنويًّا سيُسطِّرُه التاريخُ بأحرُفٍ من نورٍ؛ مفادُه أنَّ العراق تعرَّض لاحتلالٍ صليبيٍّ في هذا الوقتِ، فانقسَم أهلُ البلدِ إلى قسمين؛ الأولُ هم الأحزابُ الكرديَّةُ والشيعيَّةُ الذين دخلُوا وبأقصَى سُرعةٍ في مشروعِ هؤلاء، وأصبحُوا أدواتٍ لهم في تَحقيقِ أغراضِهم؛ فأعادَ التاريخُ نفسَه، وظهَر ابنُ العلقميِّ من جديدٍ، فازدَاد الشيعةُ عارًا بعدَ عارٍ، وخزيًا بعدَ خزيٍ، وأمَّا أهْلُ السُّنَّة فقد أعادُوا الأمجادَ والشرفَ فهم الذين وقَفُوا بوجِهِ الأعداءِ بالأمسِ القريبِ، وطردُوا الإنكليزَ في ثورتِهم المشهورةِ بثورةِ العشرينِ.

واليومَ لم يطرُدِ الأمريكانَ ويمَرِّغ أنُوفَهم في التُّرابِ، ويحَطِّمُ مشروعَهم، ويُبدِّد أحلامَهم إلَّا أهْلُ السُّنَّةِ؛ فعادَ المجدُ إلى أهلِه والفضلُ إلى أصلِه.

كلُّ ما ذكرَنا كان يدورُ في خَلَدِ أهْلِ السُّنَّةِ على العمومِ، ولم يكونوا يتصورُون أنَّهم يُقدِّمون هذه التضحيات مجَّانًا، ولم يقولوا: طالَ علينا الأمَدُ، بل كانوا يصبِرُون ويصابِرُون، لكنَّ الذي خلَط كلَّ هذه الأوراقَ وقلَبَها رأسًا على عقبٍ، وقلَب الطاولةَ- كما يقولون- وغيَّر كلَّ الحساباتِ، وهو ما لم يكنْ يَتصوَّرُه أهْلُ

السُّنَّةِ علَى الإطلاقِ: أن يخرُجَ لهم عدُوٌّ من أنفسِهم ونِدٌّ مِن بين أظهُرِهم، فيقتُلهم مَن لاذُوا به مِن قتلِ العَدوِّ، ويهدِمَ بيوتَهم مَن آوَوْه فيها، واستعانوا به على حِفْظِها وحِمايتِها، ويهينَهم ويذِلَّهُم ظلمًا وعدوانًا مَن ذلُّوا له أنفسَهم طوعًا واختيارًا؛ تكريمًا له وتشريفًا.

فهاهنا ظهرَتْ فئةٌ ممَّن حَملُوا السَّلاحَ، وكانوا يُعدُّون مِن أهلِ الجهادِ، فخالفُوا نصوصَ الشَّرْعِ وأُصُولَه في المُقدِّمات والمُقرَّراتِ، فأعلنُوا التمكينَ؛ حيثُ لا تمكينَ، وسمُّوا أنفُسَهم دَولةً وهم جماعَةٌ، حالُهم حالُ غيرِهم مِن المجاهدينَ، ويا لَيتَهُم حين توهَّمُوا أنفسَهم دولةً قامُوا بما يقوُم به أهلُها حقيقةً كما أمرَهم اللهُ بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤١].

فكان أنْ بدؤُوا بأهلِ الجِهادِ والرِّباطِ، فأسقطُوا شَرعيَّتَهم وجِهادَهم، وحكَمُوا أنَّ كلَّ الجماعاتِ باطلةٌ ما عدَا دولتَهم المزعومَةَ، وجنودَ هذه الجماعاتِ بين العصاةِ والخوارجِ؛ لأنَّهم لم يبايعوا (أميرَ المؤمنين) المَجهولَ، وعلى أفرادِ هذه الجماعات أن يختارُوا بين بيعةِ الدولةِ أو تركِ السلاحِ والجلوسِ كالنِّساءِ والصبيانِ، وتَعريضِ أنفسِهم للقتلِ؛ فحصَلَ مِن جرَّاءِ هذه البليَّةِ ما حصَلَ مِن فِتنةِ المجاهدينَ وامتحانِهم في ذلك، بل استحلالِ

دِمائِهم وسفكِها؛ ممَّا أدَّى إلى تعطيلِ الجهادِ، وتراجُع الضرباتِ على العدوِّ، إلَّا ما شاءَ اللهُ أن يكونَ.

وأمَّا قادةُ هذه الجماعاتِ فهم بين الرِّدَّةِ والكبيرةِ، وكأنَّ القومَ قد فرَغُوا مِن قادةِ الروافضِ والصليبيِّين ليتفرَّغوا لقادةِ المجاهدين! وليجمعُوا كلمتَهم بهذه الطريقةِ المشوَّهَةِ- زعموا- ثم عرَج هؤلاء على أهْلِ السُّنَّةِ فبدلًا مِن تحقيقِ آمالِ أهْلِ السُّنَّةِ وأحلامِهم التي ذكرناها آنفًا، زادوا حِملًا وعبئًا جديدًا عليهم فبدؤُوا بأسلحةِ الدَّمارِ الشاملِ، واستخدَمُوها في المكانِ الذي استخدَمها فيه الأمريكان في قلاعِ الجهادِ التي أطرَبَت المسلمين في كلِّ مكانٍ؛ فالأمريكانُ يَضرِبُون الفلوجةَ بالفسفور الأبيضِ، وهؤلاء يضربُونها بغاز الكُلُور السامِّ، ثم يُريدون ألَّا يكونَ أهلُها أعداءً لهم!

والأمريكان والروافضُ يهدمُون المساجدَ ويحرِقُون المصاحفَ، ومفخَّخات هؤلاءِ لم تجد مكانًا في ساحةِ الجهادِ العريضةِ إلَّا مسجد الحبانية؛ لتَقتلَ ستِّينَ أو سبعينَ مِن رُوَّادِه وتَجرَح الأضعافَ!

والأمريكان يَعتقلونَ مَن يشاؤونَ لكنَّهم يُعطونه رقمًا، ويذهبونَ به إلى سجنٍ معلومٍ، وهؤلاء يَحملونَه في صندوقِ السيارةِ، ولا يعلمُ أحدٌ شيئًا عن مصيرِه ورُفاتِه! وأصبحوا يُوزِّعُون على النَّاسِ بطاقاتِ الكفرِ والإسلامِ كما يشاؤون؛ فأهونُ شيءٍ عندَهم وأقرَبُه إلى نفوسِهم كلمَةُ (**فلانٌ مرتَدٌّ يجِبُ قتلُه**)، فضَلُّوا في الأولَى

بوصفِهم النَّاسَ بالكفرِ والرِّدَّةِ، وضلُّوا في الأخرَى بإيجابِهم وتجويزِهم قتْلَ كلِّ هؤلاء.

وتعرَّضُوا بعد ذلك إلى أموالِ أهْلِ السُّنَّةِ، فأخذُوا منها ما أخذُوا بناءً على أنَّها أموالٌ للمرتدِّينَ، فيجوزُ أخذَها كغنيمةٍ، بل قصفُوا قرًى ومدنًا بأكملِها، وعلى مَن فيها بناءً على كونِها دارَ كفرٍ وردَّةٍ، وأهلُها طائفةٌ ممتنِعَةٌ، وقطَعُوا عنهم الماءَ والكهرباءَ والخِدْماتِ الأخرَى!

فلم يَبقَ أحدٌ مِن النَّاس آمنًا في بيتِه كائنًا مَن كان، وتحقَّق حديثُ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم هنا بقولِه: (يأتِي زمانٌ على أُمتِي لا يَدرِي القاتلُ فيما قَتَلَ، ولا المقتولُ فيما قُتِلَ)، وقوله: (يأتِي الرَّجُلُ على قبرِ أخيهِ فيقولُ: يا لَيْتَنِي مكانَك! وما بِه الدَّيْنُ، ما بِه إلَّا البلاءُ).

وتطوَّر الأمرُ حتى أصبحتْ قِلاعُ الجهادِ- التي أرَّقَت العدوَّ، وأقضَّتْ مضاجِعَه- مَسرحًا لأعمالِ هؤلاء وإجرامِهم، وتحوَّلت هذه القلاعُ بكلِّ بساطةٍ إلى قِلاعِ كفرٍ وردَّةٍ عندَهم لمجرَّدِ أنَّها شكَتْ أو اعترضَتْ بالقولِ فقط على جرائمِهم، وكأنَّ حُرْمَةَ طائفتِهم أعظمُ من حرمَةِ السابقينَ الأولينَ من المهاجِرينَ والأنصارِ!

فآلتْ مسيرَةُ هؤلاء أنْ حوَّلوا بنادِقَهم وألسنتَهم مِن الصليبيِّين والروافضِ إلى المجاهدين وأهْلِ السُّنَّةِ، فدخلَت المعركَةُ أطوارًا

جديدةً، وأشكالًا غريبةً على المجاهدين والنَّاسِ)[1].

كانَ مِن الطبيعيِّ أنْ يحصُلَ الإجماعُ السُّنِّيُّ في العراق على رَفضِ دولةِ القَاعِدَةِ، سواءٌ مِن قِبل الجماعاتِ المُتَطَرِّفةِ، أو الأحزابِ السِّياسيةِ، أو الهيئاتِ الدِّينيةِ، أو العشائرِ وفصائلِ المقاومَةِ؛ لأنَّه عمَلٌ يَقفُ ضدَّ مصالِحِ العامَّةِ والخاصَّةِ، ولا يُسهمُ إلَّا في تَعقيدِ الأمورِ وتضييقِ الخِناقِ على أهْلِ السُّنَّةِ.

أمَّا القَاعِدَةُ فكانتْ مستعدَّةً لخوضِ الحربِ مع المجتمعِ السُّنِّيِّ، وبات أبو عمر البغداديُّ يتحدَّث عن رِدَّةٍ جماعيَّةٍ شبيهةٍ بالتي وقعَت بعدَ وفاةِ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم[2]!

(١) من مقال (مواقف جهادية من العراق) للشيخ منقذ جبر، عضو المكتب السياسي في الجيش الإسلامي في العراق، مجلة الفرسان، العدد (١٤)، (ص٣٢-٣٣).

(٢) يقول في أحد خطاباته: (ونقولُ لأولئك الذين يتَّهمون دولة الإسلام باتِّهاماتٍ باطلةٍ كاذبةٍ لا أصلَ لها، مدَّعين أنَّنا سببُ فقدانِ ما أَسْمَوْه بالحاضِنة الشعبيَّة، وأنَّ أفعالنا الشنيعةَ- على حدِّ وصْفهم- أعطت المبررَ لتلك الصَّحواتِ- نقول: يا قومُ، هل كلُّ ردَّةٍ جماعيَّةٍ هي حتمًا لخللٍ في القيادةِ والإدارةِ، أو في المنهج والسلوكِ، أو لعدمِ الحِكمةِ وفِقهِ الدعوةِ، أو لسوءِ التصرُّفِ مع الناسِ وخاصة كبرائهم وأعيانهم؟!

فلهؤلاء نقول: رويدًا! فإنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ما مات حتى ارتدَّ كثيرٌ من العرب، وسيطروا على مناطقَ بأكملِها..؛ فهل ردَّةُ الأمس واليوم هي بسبب الأخطاءِ؟ وإنْ كنا نقِرُّ بأنَّا ذوو خطأ، وأهلٌ له؛ فهل أخطأَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وصَحْبُه الكرام، أم أن رؤوس وعشائر اليوم هم أسلمُ = = عقيدةً وأحسنُ طريقةً وأقوى إيمانًا من رؤوس وعشائر الأمس)؟![المجموع لقادة دولة العراق الإسلامية (٤٥-٤٦)].

بدأتِ القَاعِدَةُ بتصفيةِ خصومِها من رجالِ الدِّينِ وشيوخِ العشائرِ وقادةِ الفصائلِ، وأصبَحَ الهدفُ الأولُ لهم السُّنةَ المُعارِضين لها؛ حتى فضَّلتْ قِتالَهم على قتالِ المحتلِّ الأمريكيِّ؛ يقول أبو عمرَ البغداديُّ: (يا جنودَ المجلسِ السياسيِّ السابقينَ واللاحقين، وأخصُّ منهم الكاذبينَ بانتمائِهم لمنهجِ السَّلفِ... إنْ أبيتُم التوبةَ قبلَ القُدرةِ عليكم، فواللهِ لقَتلُ المُرتَدِّ أحبُّ إليَّ مِن مائةِ رأسٍ صليبيَّةٍ، وقد علمتُم قوَّةَ بأسِنا، وطولَ ذراعِنا)[1].

واستمرَّتِ القَاعِدَةُ في حربِها، ولم تستثنِ الفصائلَ المُتَطَرِّفةَ كجماعةِ أنصارِ الإسلامِ الكرديَّةِ التي وقفَت إلى جانبِها- إعلاميًّا- واتَّهمَت الفصائلَ الجهاديَّةَ بأنَّها دخلتْ في الصَّحَواتِ، لكنْ ذلك لم يشفَعْ لها عندَ القَاعِدَةِ، ففي منتصفِ عام ٢٠١٣م أصدرَتِ الجماعةُ عِدَّةَ بياناتٍ؛ منها رسالَةٌ إلى الظواهريِّ تُطالبُه بكفِّ عدوانِ جماعتِهِ على أفرادِها في مدينةِ الموصِلِ.

(١) المجموع لقادة دولة العراق (ص ٨٢).

موقفُ قيادةِ القَاعِدَةِ من أتباعِها في العراق

الصِّراعُ الذي نشَب في العراقِ بين القَاعِدَةِ والفصائلِ المجاهدةِ كانَ يتطلَّبُ مِن قيادةِ القَاعِدَةِ التحرُّكَ لحَقْنِ الدماءِ وتسويةِ الخِلافاتِ، لا سيَّما بعدَ أن وجَّهت المقاومَةُ نداءً مباشِرًا إلى (قادَةِ تنظيمِ القَاعِدَةِ وعلى رأسِهم الشيخُ المجاهِدُ أسامةُ بن لادنٍ- حفِظَه الله تعالى- الذي اشتُهِرَ عنه التحرُّزُ الشديدُ من دِماءِ المسلمينَ وأعراضِهم، واشتُهِرَ بزُهدِه وَوَرَعِه وخوفِه من الحسابِ يومَ الدِّينِ، أن يَستبرِأَ لدِينِه وعِرْضِه، وأن يتحمَّلَ مسؤوليته عن تنظيمِ القَاعِدَةِ الشَّرعيَّةِ والتنظيميَّةِ، وأن يَستقصِي الحقائقَ، ويتثبَّتَ؛ ليكونَ على بيِّنةٍ من أمرِه، فإنَّه ومَن معَه مِن إخوانِه قادةِ القَاعِدَة مسؤولون يومَ القيامةِ عن ما يَحدُثُ من قِبَل أتباعِهم، ولا يَكفِي البراءةُ مِن الأفعالِ بل لا بدَّ مِن تصحيحِ المسارِ)[1].

ردُّ القيادةِ كان واضِحًا في الانحيازِ لجماعتِها واتِّهامِ المجاهدين، ومطالبتِهم بمبايعَةِ صاحِبِهم (أبي عمر البغداديِّ).

تَجلَّى انحيازُ القَاعِدَةِ لجماعتِها مِن خلالِ تصريحاتِ زُعمائِها (أسامة بن لادن، الظواهري، أبو اليزيد المصري، عطية الله اللِّيبي، أبو يحيى اللِّيبي)، وهذه طائفةٌ من تَصريحاتِهم في ذلك:

(١) من بيان الجيش الإسلامي المعنون بـ(رد الجيش الإسلامي في العراق على خطابات الأخ أبي عمر البغدادي) بتاريخ ٥ نيسان ٢٠٠٧م.

أسامة بن لادن:

دافَع عن دولةِ العِراق الإسلاميَّة في خِطابِه (السبيل لإحباط المؤامرات)[١].

أبو يحيى اللِّيبي:

أنا أعتبرُ أنَّ إقدامَ إخواننا المجاهدين في العراق على إعلانِ قيامِ الدَّولَة الإسْلامِيَّة هو تَوفيقٌ إلهيٌّ محضٌ[٢].

الظواهري:

جرُّ حماسٍ للعبةِ التنازلاتِ السِّياسيَّةِ إرادةٌ صليبيَّةٌ صِهْيَونيَّةٌ تُنفِّذُها الحكوماتُ العربيةُ، أمَّا قيامُ دولةِ العراقِ الإسلاميَّةِ فهو إرادةٌ إسلاميةٌ جهاديةٌ تُحارِبها الحَملةُ الصليبيَّةُ الصِّهْيَونِيَّةُ، وبالتالي الحُكوماتُ العربيَّة[٣].

إنَّ دعمَ المجاهدين في العراقِ- وعلى رأسهم دولةُ العراق الإسلاميَّة- من آكَدِ الفروضِ على الأمَّة المسلِمة اليوم[٤].

دَولةُ العراق الإسلاميَّة- بفضل الله ونعمته- حَجمُها وعددُ

(١) الخطاب منشور في مجلة منبر المسلم (العدد ٤) (محرم ١٤٢٩هـ)، وفي مجموع رسائل وتوجيهات أسامة بن لادن (ص ٦٤٣).
(٢) مجموع أبحاث ورسائل وتوجيهات لأبي يحيى الليبي (ص ٣٩).
(٣) مجموع أبحاث ورسائل وتوجيهات أيمن الظواهري (ص ١٢٤).
(٤) المصدر السابق (ص ٩٨).

جُنودها وأنصارُها أضعافُ أضعافِ ما يُسمَّى بحُكومة حماسِ[١].

أبرِّئُ الدولةَ من أن يكونَ منهجُها يستبيحُ دِماءَ الأبرياءِ ويعتدِي على الحُرُماتِ؛ وذلك لما علمتُه عن أهمِّ قياداتِها، ولِما أعلمُه عن منهجها[٢].

دولةُ العراقِ الإسلاميَّةُ حفِظَها اللهُ، وهي إمارَةٌ شرعيَّةٌ تقومُ على مَنهجٍ شرعيٍّ صحيحٍ، وتأسَّست بالشُّورَى، وحازتْ على بَيعةِ أغلبِ المجاهدين والقبائلِ في العراق[٣].

مصطفى أبو اليزيد المصري:

بالنِّسبةِ لدولةِ العراق الإسلاميةِ، فنحن أيَّدناها، وما زلنا نُؤيِّدها ونرى استمرارَها كمبادئ وكأصولٍ... والانتقاداتُ التي تأتِي على دَولةِ العراق الإسلاميةِ هي يعني الكثير من هؤلاء هم خُصوم، هم ليسوا صادقينَ ويدَّعُون أشياءَ يعني تقومُ بها دولةُ العراق الإسلاميَّة، وفي الحقيقةِ هم ما يفعلون هذه الأشياءَ، وقد يكون هناك بعضُ الأخطاءِ في مسيرةِ الجهادِ.. نرى بما أنَّه قد قامتْ دولةُ العراقِ الإسلاميَّةُ، ودخَل فيها كثيرٌ من الجماعاتِ الجهاديَّةِ هناك؛ فهي الأوْلَى أن يدخُلَ فيها بقيَّةُ الجماعاتِ الموجودَةِ الآنَ.

(١) مجموع أبحاث ورسائل وتوجيهات أيمن الظواهري (ص ١٢٣).
(٢) المصدر السابق (ص ٣٥٤).
(٣) المصدر السابق (ص ٣٥٨).

عطية الله الليبي:

أَوضَحَ موقفَه الداعمَ لدولةِ العراقِ الإسلاميَّة في أكثرِ من مقالٍ كـ(تَعليقات على بَعضِ ما احتواه بيانُ الجيش الإسلامي)، و(كلمات في نُصرةِ دَولةِ العراق الإسلاميَّة)، وفي حوارِه المُطوَّل مع مركز اليقين الإعلاميِّ، وفيه يقولُ: (نحنُ نَعرِف أنَّ قياداتِ الجهادِ الكِبارَ من الشيخ أسامة مُرورًا بالشيخ الظواهري، إلى الشيخ أبي يحيى اللِّيبي، وغيرهم، أيَّدوا الدولةَ ودَعَوُا الفصائلَ الأخرى إلى الانضمامِ إليها)[1].

(١) لقاء مركز اليقين بالشيخ الفاضل عطية الله (جمادى الأولى ١٤٢٨هـ/ يونيو ٢٠٠٧م) (عدد خاص)، ص ٩.

كيف حدَّدت القَاعِدَةُ موقفَها من دولة العراق الإسلامية؟

ربما يتساءلُ البعضُ كيفَ تورَّطَت قيادةُ القَاعِدَةِ في الانحيازِ لجماعتِها في العراقِ دونَ معرفةِ حقيقةِ ما يَجرِي على الأرضِ، ودونَ التثبُّتِ والتحقُّق من الأنباءِ الواردةِ؟

وكيف أقحمتْ نفسَها في ملفٍ مُعقَّدٍ لا تعلمُ عنه شيئًا؟

هل اتبعتِ القَاعِدَةُ في ذلك طريقةً شرعيَّةً في إصدارِ الأحكامِ وبناءِ المواقفِ، أم تابعَت الهوَى وانحازتْ لحزبِها دونَ أيِّ مبرِّرٍ شرعيٍّ أو سندٍ يدعم حُجَّتها فيما ذهبتْ إليه؟

سنَذكُرُ الآن بعضَ العواملِ التي أدَّتْ إلى اتخاذِ القرارِ عندَ القَاعِدَةِ فيما يَتعلَّقُ بموقِفِها من دولةِ العراقِ الإسلاميَّةِ:

١- الجهلُ بالواقعِ العراقيِّ

لا تَعرِفُ القَاعِدَةُ عن الشأنِ العراقيِّ إلَّا بعضَ ما تسمَعُه في وسائلِ الإعلامِ- إنْ كان لها مُتابَعةٌ مستمرَّةٌ- وليس من الممكنِ عَمليًّا ولا نظريًّا أن تبقَى القَاعِدَةُ على تواصُلٍ مع العراقِ مِن خلالِ الموفدِين والمبعوثينَ، حتَّى إنْ تمكَّنتْ مِن إيجادِ وسيلةٍ لمعرفَةِ ما يَجرِي في الداخلِ، فلن تَتمكَّنَ مِن الخروجِ بتصوُّرٍ شاملٍ، وربَّما ترِدُها الأخبارُ مِن مؤيِّدِيها دونَ خُصومِهم.

وخِطاباتُ قادَةِ القَاعِدَةِ وكلماتُهم- خاصَّةً أيمن الظواهريَّ- تؤكِّدُ أنهم لا يعلمونَ شيئًا عن واقِعِ الصِّراعِ وتَعقيداتِه، وما يستجِدُّ فيه بين الحينِ والآخَرِ.

فحديثُ القَاعِدَةِ عن العراقِ هو تَكرارٌ لما يقولُ أتباعُهم، أيْ: إنَّها تُردِّد ما تسمعُه من أتباعِها مِن خِلال إصداراتِهم المرئيَّةِ والمكتوبَةِ دونَ تثبُّتٍ أو تبيُّنٍ، أو توثُّقٍ من جهةٍ محايدَةٍ لاسيما مع احتدامِ الخلافاتِ وتزايُدِ الاتهاماتِ بين الجانبينِ.

ومعلومٌ أنَّ هذا الأمْرَ مَرفُوضٌ في ميزانِ العدلِ والشرعِ، وهو مُخالِفٌ لأبسطِ مبادئِ الفصْلِ والحُكمِ بين المُتنازعين، أي: الاكتفاءُ بسَماعِ طرفٍ دون الآخرِ، وتصديقُه دونَ بيِّنةٍ أو دليلٍ.

إنْ تركْنا هذا كلَّه، واعتبرْنَا أنَّ القَاعِدَةَ تُحسِنُ الظَّنَّ بأتْباعِها، ولم تُجرِّب عليهم كذبًا؛ لذلك كان من السَّهلِ عليها أن تُصدِّقَهم وتنحازَ إليهم، وهذا الأمرُ- على ما فيه من اتِّباع الهوَى- إلا أنَّه يمكنُ أنْ يكونَ مقبولًا إن كان ما يقوله أتباعُها له وجهٌ مقبولٌ أو معقولٌ، أمَّا أن تكونَ أخبارًا غريبةً يأنَفُ تصديقَها أيُّ عاقلٍ، ويتوقَّفُ في القبولِ بها أيُّ مَن له أدنَى معرفَةٍ بالعراقِ وشأنِه، فهذه أخبارٌ حقُّها أن تُرَدَّ ويُشكَّك بقائلِيها وناقلِيها، وسنذكُر نماذجَ مِن ذلك:

◈ الزَّعْمُ بأنَّ ٧٠٪ من العشائرِ السُّنية بايعَتِ الدولةَ:

يقولُ البغداديُّ: (وكانت الثمرةُ الأكيدةُ والحصادُ الأعظمُ:

أنْ يُسارِعَ نحوُ سبعينَ في المائةِ مِن شيوخِ عشائرِ أهْلِ السُّنَّةِ في بلادِ الرَّافدينِ إلى الدُّخولِ في حِلف المطيَّبينَ، ومُباركَةِ بيعةِ دولةِ الإسلامِ والمسلمين)[1].

ومُقتضَى هذه الرِّوايةِ أنَّ غالبيةَ أهْلِ السُّنَّةِ مُؤيِّدونَ ومُبايعُونَ للدولَةِ، ولو كان الأمرُ كذلك لمَا حصَلَ خِلافٌ واقتتالٌ؛ إذ إنَّ هذه الأغلبيةَ كفيلةٌ بحسْمِ الأمرِ ومنعِ أيِّ مُعارضَةٍ، أو تَحْجيمِها، والتعاملِ معها دون هذه الفوضَى الكبيرةِ.

ولم يَجتمعْ سُنَّةُ العراقِ يومًا على عملٍ سياسيٍّ وعسكريٍّ بهذه النِّسبَةِ الكبيرةِ، ولو حصَل ذلك لتجَنَّبُوا كثيرًا مِن عواقِبِ التفرُّقِ والاختلافِ التي أنهَكَتْهم.

كما أنَّ هذا مِن الكَذِب البيِّنِ؛ فإنَّ شيوخَ العشائرِ – في الغالبِ – ليسوا من أهلِ الدِّيانَةِ والاستقامَةِ حتى يَنقادوا لمشروعِ دولةٍ إسلاميَّةٍ تُجَرِّدُهم من مناصِبِهم ومكانتِهم، وهم في طليعَةِ مَن حارَبَ القَاعِدَةَ، وهذا معلومٌ للجميعِ، وقد سبَق للزَّرقاوِيِّ أنْ حذَّر هذه العشائرَ من التعاونِ مع الأمريكان، فبوادِرُ تمرُّدِهم كانت قديمةً ومعروفةً.

بل إنَّ البغداديَّ نفسَه حينما حاربتْ العشائرُ تنظيمَه أخَذَ يُقارِن بين هذا الانقلابِ، وبين رِدَّةِ العربِ بعد وفاةِ النبيِّ صلَّى الله عليه

(١) المجموع لقادة دولة العراق الإسلامية (ص ٥).

وسلَّم، فلماذا بايعُوا، ثم سارعُوا إلى النُّكوصِ، ومعلومٌ أنَّ مُبايعةَ القَاعِدَةِ تعنِي مُخاطرةً كبرَى لا يُقدِم عليها إلَّا مَن يحسَبُ حسابَها، ولا تكونُ إلَّا عن قناعةٍ وإيمانٍ بها، ولا يمكِنُ للإغراءاتِ الماديَّةِ أن تُؤثِّرَ فيهم.

إلى جانِبِ هذا؛ فإنَّ تطويعَ شُيوخِ العشائرِ من أصعَبِ المهمَّاتِ التي تُواجِه الساسةَ ورجالَ الدولةِ، وعَشائرُ العراق لم تَعرِف الطاعةَ والانقيادَ إلَّا بالتَّرغِيبِ ومنْحِ الامتيازاتِ، أو الترهيبِ الشديدِ؛ فكيفَ يُمكِنُ للقاعدةِ التي أَلِفَتِ الخُشونَةَ والغِلْظَةَ والمسارعَةَ إلى الاتِّهامِ أن تتعامَلَ مع عشائِرَ تعوَّدَت على عصيانِ السُّلطَةِ؟!

◈ تأمينُ مساكن للفلسطينيِّين المُشرَّدين في الدَّولةِ الجَديدة:

يقولُ البغداديُّ: (وإنِّي اليومَ ومن واجبِ المسؤوليةِ التي أُلقيت على عاتِقي أدعُو أهلِي الفلسطينيِّين للعودَةِ إلى أرضِ دولةِ العراقِ الإسلاميَّةِ، وخاصةً في الأنبار، وصلاح الدِّين، وديالى؛ فقد تمَّ تجهيزُ عشراتِ القُرَى لهم بها أحسنُ البيوتِ والمزارعِ والبساتين تشقُّها الأنهارُ، ومَحميةٌ برجالِ دولةِ الإسلامِ أفاءَها اللهُ علينا من أبناءِ ابنِ العلقميِّ)[1].

ويَقصدُ فلسطينيَّ العراق الذي هجَّرَتهم المليشياتُ الشيعيةُ

(١) المجموع لقادة دولة العراق الإسلامية (ص ١١).

من بغداد، وبعضُهم ظلَّ لفترةٍ فِي الصَّحراءِ على الحدودِ العراقيَّةِ الأردنيةِ، ومعاناتُهم معروفةٌ.

هذه العُروضُ السخيَّةُ لا يُمكنُ لعاقلٍ أنْ يُصدِّقَها؛ لعدةِ أسبابٍ:

- إنَّ العراقَ خلال الفترةِ (٢٠٠٥-٢٠٠٨م) شهِد أكبرَ موجاتِ الهجرةِ والنُّزُوحِ داخلَ وخارجَ العراقِ، حتى امتلأتِ الدولُ المجاورةُ بالعراقيِّين، وخاصَّة سُورِيَة التي احتَضَنت ما يزيدُ على مليون ونِصف المليون عراقيٍّ، غالبيتُهم من أبناءِ العربِ السُّنةِ، أيْ: أنَّ السُّنةَ كانوا يَتركُون البلادَ بسببِ الظُّروفِ الأمنيَّةِ والحربِ الأهليةِ وتعدُّدِ مصادرِ التهديدِ (الشيعة، الأمريكان، القَاعِدَةِ) بينَما البغداديُّ يدعُو الفلسطينيِّينَ إلى العودةِ إلى المحافظاتِ الساخنَةِ المضطربَةِ.

فالبغداديُّ يُعطِي ما لا يملكُ، ويتصرَّفُ فيما لا قدرةَ له عليه، ويتحدَّثُ عن أرضِ الأحلامِ (عشراتُ القُرَى) (وأحسنُ البيوتِ) (وبساتين تشقُّها الأنهارُ)؛ فهل يُصدِّقُ إنسانٌ أنَّ هذه أوصافٌ يُمكن أن تنطبِقَ على أيِّ بُقعةٍ في العراقِ بعدَ الاحتلالِ حتَّى في إقليم كردستان الآمِنِ نسبيًّا؟!

فكيف تُمنَحُ هذه الوعودُ؟ وعلى أيِّ أساسٍ؟ وكيف يُطلب مِن العقلاءِ تصديقُها؟ وقد علم القاصِي والدانِي أنَّ الساحةَ السُّنيَّةَ باتَت ميدانًا للقتالِ بينَ أكثرِ من جهةٍ (الشِّيعةِ والسُّنةِ، القَاعِدَةِ

والعشائرِ، السُّنة والأمريكان).

◈ اجتماعُ النَّاسِ على بَيعةِ البغداديِّ:

يقول البغدادي (ثم إنِّي- يَعلمُ اللهُ- رفضتُ مِرارًا وتَكرارًا هذا الأمرَ- أعني: إمارةَ المسلمين-، فلم أكنْ أحلُمُ إلَّا أنْ أكونَ جُنديًّا في سوادِ النَّاسِ، أقاتِلُ مَن كفَرَ بالله، حتى يُعبَدَ اللهُ وحدَه، ولم أكنْ يومًا ما أميرًا من أُمراء تِلك الجماعاتِ، لكنَّ النَّاسَ اجتمعُوا علينا وأبوا أن يتركُونا وظنُّوا أنَّ فينا خيرًا، أسألُ اللهَ أن يجعلنِيَ خيرًا مما يَظنُّون)[1].

زعْمُ البغداديِّ هذا لا يشبِهُه شيءٌ إلَّا ادِّعاءُ الحُكَّامِ البعثيِّين في العراق وسُورِيَة أنَّ الشعبَ أجمَعَ على قيادتِهم واختيارِهم بنسبة ٩٩,٩٩٪ في انتخاباتٍ صوريَّةٍ، أشبَه ما تكونُ بمسرحيةٍ مُكرَّرةٍ كلِّ عدَّةِ سنواتٍ.

ولو اجتمَعَ سُنَّةُ العراقِ على مَشروعٍ معيَّنٍ أو تأييدِ حزبٍ أو جماعةٍ مقاتلَةٍ؛ لمَا وصَل الحالُ إلى ما وصلَ إليه؛ فأهْلُ السُّنَّةِ إلى اليومِ لا يَعرفُون معنَى القيادةِ والمرجعيَّةِ الدِّينيَّةِ والسياسيَّةِ، ولا يَثقُون في كلِّ الموجودينَ، وهذه الآفَةُ يرصُدُها كلُّ عارفٍ بالشأنِ العراقيِّ.

بل إنَّ أهْلَ السُّنَّةِ لم يَجتمعُوا على الأخيارِ الثِّقاتِ المعروفين

(١) المجموع لقادة دولة العراق الإسلامية (ص ٥).

بتاريخِهم ونزاهتِهم؛ فكيفَ لهم أن يَجتمعُوا على بَيعةِ رجلٍ مَجهولٍ، وتنظيمٍ متطَرِّفٍ يَقودُهم لمحاربَةِ كلِّ الدولِ والأنظمةِ في العالَم؟!

والبغداديُّ في صَنيعِه هذا يُحاكِي رُواةَ الأخبارِ المكذوبَةِ الذين يَختلِقُون ما لا يُمكن قَبولُه عقلًا، مع كونِه لم يَثبُتْ سندًا ونقلًا؛ فهو كَذِبٌ مَفْضُوحٌ بمجرَّدِ سماعِهِ.

أمَّا زعْمُه أنَّ النَّاس أصرُّوا على بيعتِه بالرغمِ مِن زُهدِه بالإمارَةِ؛ فهذا أمرٌ لم يَتَّفِقْ لأخيارِ المسلمين مِن الصحابَةِ والخلفاءِ المهديين، إلا بضعَةَ رجالٍ؛ منْهُم الصِّدِّيقُ رضِيَ اللهُ عنه!

◈ ادِّعاءُ قُدرتِهم على السيطرَةِ على بغداد:

يقولُ البغداديُّ: (أما في بغداد فيَعلمُ القاصِي والدانِي أنَّ أبناءَ الدولةِ هم جنودُ اللهِ الذين صدُّوا وقطعُوا أيادي المجوسِ الماكرَةَ، ومنذُ زمنٍ بعيدٍ، وما يمنعُنا مِن الاستلامِ الكامِلِ لزمامِ الأمورِ إلَّا أسبابٌ ليس هذا موضوعَها، وسيُذهِبُها اللهُ قريبًا بحوْلِه وقوَّتِه)[1].

هذه العبارَةُ وحدَها كافيَةٌ لإسقاطِ عدالَةِ قائلِها واتِّهامِه بذَهابِ العقلِ؛ فبغدادُ في تلك السنواتِ كانت تُعانِي الويلاتِ مِن هيمنةِ الشِّيعةِ، وتمدُّد مليشيا جيشِ المهدي، وأفرَغَت كثير من أحيائِها مِن أهلِها السُّنةِ، وقد تمكَّن الشيعةُ في بغداد من السيطرةِ عليها،

(١) المجموع لقادة دولة العراق الإسلامية (ص ٥).

وهي بيدهم إلى هذا اليوم، وهذا أمرٌ يشهدُ به السُّنَّةُ والأمريكان، فضلًا عن الشِّيعَةِ المزهُوينَ بنصرِهم، بينما يتفرَّدُ البغداديُّ وحدَه دونَ العالَمِين بقوله: (ما يمنعُنا مِن الاستلامِ الكامِلِ لزمَامِ الأمورِ)، أي: أنَّه لا يملكُ مُجرَّدَ سلطةٍ ونفوذٍ جزئيٍّ في بغداد، وإنَّما هيمنَةٌ شامِلَةٌ وتحكُّمٌ مُطلَقٌ بزمامِ الأُمورِ؛ فمن يمكنُه تصديقُ هذا؟!

ولماذا تُفرِّطُ القَاعِدَةُ في الهَيمنةِ على بغداد أو على الأقلِّ على جانبها الغربيِّ (الكَرْخِ)؛ حيثُ يكثُرُ أهْلُ السُّنَّةِ؟! فهذا الإنجازُ بحدِّ ذاته يُعادِلُ الهيمنَةَ على سائرِ المحافظاتِ السُّنيَّةِ؛ لأنَّ المعركةَ الحقيقيَّةَ في بغداد، وزَعْزَعَةُ سلطانِ الشِّيعةِ فيها يُهدِّد حُكمَهم في عمومِ العراقِ، ويقلِبُ موازينَ الحربِ رأسًا على عقب!

وإنْ كانتْ القَاعِدَة تَمتنِعُ عن تولِّي زمامَ الأمورِ في بغداد؛ لأسبابٍ لم تذكُرْها؛ فهي جدِيرَةٌ بأنْ تُتَّهَمَ بالخيانةِ والتواطؤِ مع الشِّيعةِ، أو بأنَّها غيرُ مؤهَّلَةٍ للقيادةِ، لا سَّيما وهي تُفَرِّطُ في نَصرٍ كبيرٍ يَحسِمُ المعركةَ، ويُنهِي مأساةَ أهْلِ السُّنَّةِ.

◈ مبايعَةُ الفصائلِ للقاعدَةِ:

يقولُ البغداديُّ: (ثم جاءتِ الثمرةُ الطيبَةُ سريعةً ببيعةِ عشراتِ الكتائبِ وآلاف المُقاتلين منْ إخواننا في جيشِ المجاهدين، والجيشِ الإسلاميِّ، وثورةِ العشرين، وأنصارِ السُّنةِ وغيرِهم، وذلك في الفلوجة والقرمة والعامرية، والرمادي والغربية،

والطارمية والصينية، وتكريت وسامراء، وبعقوبة والعظيم، ثُمَّ في الموصِل وكركوك، وتلعفر وببغداد الحبيبة)[1].

وهذا الكلامُ أيضًا ممَّا أنكرَتْه الفصائِلُ، وكذَّبه الواقعُ؛ إذ لو بايَع الآلافُ مِن المقاتلينَ تنظيمَ القَاعِدَةِ لاختلَّتِ الجبهَةُ المقابِلَةُ وضعُفَت، ولم يكُن بإمكانِها النهوضُ لقتالِ القَاعِدَةِ، وهي مُصابَةٌ بالانشقاقِ والتفكُّكِ.

ولو حَصَلَت هذه الانشِقاقاتُ في صُفوفِ الفَصائلِ، وانحازَت كَتائبُ منها إلى جانبِ القاعِدَةِ، لأصبَحَ هذا مِنَ المَعلومِ المَشهورِ الَّذي يصعُب كِتمانُه، وكان بإمكانِ القاعِدَةِ أنْ تُقدِّمَ إثباتًا على ذلك، وهوَ نَصرٌ وإنجازٌ جديرٌ بالتَّوثيقِ مِن أَجلِ الدَّعايةِ والحربِ الإعلاميَّةِ، ولِإضعافِ الرُّوحِ المَعنويَّةِ لِلخَصمِ.

بل إنَّ البَغداديَّ نَفسَه عاد مرَّةً أُخرى يُكذِّب زَعمَه حينَما عدَّد أَعداءَ دَولتِه فذَكرَ مِنهم (أَكثرَ مِن ٧٠ ألف عَميلٍ منَ الصَّحواتِ، وعِدَّة آلافٍ مِن خَونة المُقاومةِ المُسمَّاة الشَّريفةُ)[2].

هذه التَّصوُّراتُ الخياليَّةُ الَّتي تَحدَّث بها البَغداديُّ عن دَولتِه كَفيلةٌ بالتَّشكيكِ في صِدقِها، وَفي أقلِّ الأَحوالِ كان على قادةِ القاعِدَة في أَفغانستانَ وَهم يَستمعونَ لهذه الأَساطيرَ أن يَتثبَّتوا، لا أن يُسارِعوا

(١) المجموع لقادة دولة العراق الإسلامية (ص ٤).
(٢) المصدر السابق (ص ٤٧).

إلى تَأييدِ مَجاهيلِهم، والطَّعنِ في الفَصائلِ السُّنِّيَّة دونَ بُرهانٍ.

٢-الجهلُ بِحالِ أَتباعِها في العِراقِ

كانت القاعِدَةُ أيضًا تَجهلُ حالَ مَن يُمثِّلها في العِراقِ ويُعلنُ البَيعةَ لها؛ فَهيَ لا تَعلمُ شيئًا عن مُستواهُم الفِقهيِّ، أو انِضباطِهمُ الشَّرعيِّ، ومَحصولِهم مِن الخِبرةِ السِّياسيَّةِ والاجتِماعيَّة، ولا تَعلم إنْ كان فيهم غُلوٌّ وتَشدُّدٌ، ولا تَعلمُ آليَّةَ اتِّخاذِ القَرارِ داخلَ التَّنظيمِ ومَدى التزامِ الأَتباعِ بِقَراراتِ القادَةِ، أي: إنَّها تَجهلُ أَهليَّةَ أَتباعِها وعَقليَّتِهم وكَيفيَّةَ تَعامُلِهم معَ الخُصومِ، وإنْ كانت هذه المَعرفةُ- لو تحقَّقت- غيرَ كافيةٍ لإِصدارِ الأَحكامِ.

وفي بَعضِ الأحيانِ كانت القاعِدَةُ تَعلمُ أنَّ بعضَ مَن يُناصرُها في العِراق يَتَّبعُ مَنهجًا مُتشدِّدًا، وهذا أدْعَى لِمَزيدٍ مِن التَّثبُّت؛ لأنَّه مِن غيرِ المُمكنِ الوُثوقُ بالمُتشدِّدين؛ لِعدمِ أَهليَّتهم لِلقيادةِ وتَقريرِ مَصالحِ العِبادِ والجِهادِ.

يَروي سيفُ العدلِ (أَحدُ قياداتِ القاعِدَة) بَعضَ ذِكرياتِه مَع أبي مُصعبٍ الزَّرقاويِّ عندَ قُدومِه إلى أَفغانستانَ، فيَقولُ: (وَصلتْني أَخبارٌ عن وُصولِ مَجموعةٍ منَ الأُردنيِّين إلى قَندهارَ، كُنت مَشغولًا بأُمورٍ تَتعلَّق بِعَملي خارجَ المِنطقةِ، وعُدتُ إلى قَندهارَ بعدَ وصولِ أَبي مُصعبٍ بِحواليْ أُسبوعين، وبَعد ذلك تَوجَّهتُ لِلقائِه في بَيتِ الضِّيافةِ المُخصَّص لِإقامةِ الضُّيوف والقادِمينَ الجُدُدِ.

أبو مُصعبٍ وأبو مُحمَّد المَقدسيُّ لم يَكونا بحاجَةٍ إلى تَزكيةٍ مُسبقةٍ لَدينا؛ فأَخبارُهما ووَقائعُ المُحاكماتِ العَسكريَّةِ الَّتي عُقدَت لَهما في الأُردنِّ، وَما طرَحاه مِن أفكارٍ عَلنيَّةً في هذه المُحاكماتِ كانتْ كما أَسلفْنا، كَفيلةً بِتَزكيتِه، وأَبو قَتادةَ وأَحدُ مَشايخِ الجِهادِ الأُردنيِّين كانوا قَد أَوصوا بِهما خَيرًا.

لا بدَّ لي أنْ أَذكرَ هنا أَنَّني قُمتُ بِلقاءِ الأخِ المَسؤولِ لَدينا عن مُتابعةِ أَبي مُصعبٍ ورَفيقَيْه، لأَخذِ صُورةٍ عمَّا جَرى بينَ الإِخوةِ وبين أَبي مُصعبٍ، **وكانت النَّتيجةُ المُحصَّلةُ تَقول: إنَّ أَبا مُصعبٍ لَديه آراءٌ مُتشدِّدةٌ في بَعضِ القضايا والأُمورِ**، لَم يَتمَّ الاتِّفاقُ عَليها بَينَه وبينَ الإِخوةِ).

بَعد ذلكَ يقولُ: (النِّقاطُ الخِلافيَّةُ مع أَبي مُصعبٍ لم تَكنْ جَديدةً عَلينا، ولَم تَكنْ وَحيدةً؛ فَمِئاتُ الإِخوَةِ الَّذين يَأتوننا مِن مَناطقَ مُتعدِّدةٍ منَ العالم كنَّا نَختلِفُ معهم في بَعضِ الأُمورِ والقَضايا، وكُلُّ هذا كانَ مَصدرُه الفَهمَ المُتعدِّدَ لبَعض جَوانبِ العَقيدةِ فيما يَتعلَّقُ بِالوَلاءِ والبَراءةِ، وَما يَترتَّب عليهما مِن مَواضيعَ التَّكفيرِ والإِرجاءِ، والقَضيَّةُ الثَّانيةُ هي أَساليبُ العَملِ، والتَّعامُل معَ الواقعِ المُعاشِ، كلٌّ في مُحيطِه ومَوطنِه الأَصليِّ، وكانتِ النُّقطةُ الأَهمُّ مع أبي مُصعبٍ هيَ المَوقفُ مِن الحُكمِ السُّعوديِّ، وطَريقةِ التَّعاملِ والتَّعاطي مَعه، في ظلِّ الأَحكامِ الشَّرعيَّةِ المُتعلِّقةِ

بِالكُفرِ والإيمانِ)[1].

٣- تَرْكُ الاستِئناسِ باعتِراضِ المَقدسيِّ على عَملِ القَاعِدَةِ

إنْ كانتِ القاعِدَةُ تَجهلُ طَريقةَ مَعرفةِ حال أَنصارِها في العِراقِ، وتَتحقَّق مِنِ انضِباطِهِمُ الشَّرعيِّ وأَهليَّتِهم لِقيادةِ مَشروعٍ كَبيرٍ، كَمَشروعِ الدَّولَةِ الإِسْلامِيَّة في ظُروفٍ صعبَةٍ، إنْ كانت تَجهلُ ذلكَ؛ فكانَ بالإمكانِ أن تَنظرَ في المُلاحظاتِ الَّتي سَجَّلها المَقدسيُّ على عَمل الزَّرقاويِّ عام ٢٠٠٥، وهيَ مُلاحظاتٌ مُفيدةٌ؛ لعِدَّة اعتِباراتٍ:

- أنَّ المَقدسيَّ أَقربُ مِنهم إلى العِراقِ، وبِاستطاعَتِه أن يُقيِّمَ الواقعَ بِشكلٍ أَفضلَ مِنهم، وأنْ يَستفسِرَ عن حالِ القاعِدَة بِواسطةِ مَن يَثقُ بِهم.

- أنَّ المَقدسيَّ أَعرفُ بِتلميذِه الزَّرقاويِّ وبِعقليَّته وتاريخِه.

- أنَّ المَقدسيَّ في نَظرِ القاعِدَة مِن أَهلِ العِلمِ المَوثوقينَ، ويُوافِقُهم في المَذهبِ والمَنهجِ الفِكريِّ، ومُلاحظاتُه ستَصُبُّ في مَصلحةِ القاعِدَة، ولَيستْ لِتَقويضِ عَملِها والتَّشويشِ عَليها.

- أنَّ المَقدسيَّ لم يَتفرَّدْ في نَقدِ قاعدَةِ العِراقِ؛ فعَطيَّةُ اللهِ اللِّيبيُّ له أَكثرُ مِن رسالةٍ يَنصحُ فيها الزَّرقاويَّ بجُملةٍ منَ الأُمورِ،

(١) تَجربتي مع أبي مصعب، مصدر سابق.

غايتُها تَرشيدُ عَملِه، وتَخفيفُ الغُلوِّ والتَّهوُّر.

- أنَّ نَصائحَ المَقدسيِّ مُرتبطةٌ بقَضيَّةِ إعلانِ الدَّولةِ والتَّأمُرِ على النَّاسِ.

وَمِن ذلك قولُه: (إنَّ سَذاجةَ ومَحدوديَّةَ تَجربةِ قيادَةِ مَجموعةٍ صَغيرةٍ في السِّجنِ لا يَجوزُ أنْ تَنتقِلَ بِسطحيَّتِها وسَذاجتِها إلى العَملِ التَّنظيميِّ المُسلَّحِ، فَقد عاينَّا الثَّمنَ الباهظَ لِذلك في فَقدِ إخوةٍ أَعزَّة سواءٌ بالقَتلِ أوِ التَّأبيدِ في السِّجنِ، هذا غيرُ الخَسائرِ الماديَّةِ الطَّائلةِ الَّتي أُهدِرت في تلكَ التَّجاربِ المُتعجِّلةِ، فصِدقُ النِّيَّة وحُبُّ الدِّينِ والوَرعُ والإخلاصُ، والعاطفَةُ والحَماسُ؛ كلُّ ذلكَ لا يَكفي وَحدَه لِإثراءِ التَّجربةِ وَالارتِقاءِ بِالعملِ التَّنظيميِّ، وَلا يُغني بِحالٍ عَن الاِستِعانةِ بِذَوي الخِبرَةِ والفِطنةِ والتَّجربةِ والمَعرفةِ، فحَذارِ مِن الاِغترارِ أَوْ الاِكتِفاءِ بالتَّجربةِ الهَزيلَةِ أوِ القَصيرةِ، والزُّهدِ بِخِبراتِهم لِمُجرَّد ألَّا يَكونوا مِن أَهل المُوالفةِ والموافقَةِ على كلِّ شَيءٍ.

العِراقُ- بإجرامِ صدَّامٍ وحِزبِه- تَأخَّرت فيه الصَّحوةُ الإسلاميَّةُ، واستُؤصِلت في مَراحلَ شتَّى؛ فأَحسنُ ما يُقدِّم المُجاهدون لِهذا البَلدِ المَنكوبِ إن لَم تَتيسَّرِ الآمالُ الكَبيرةُ الَّتي دونَها ما دونَها؛ أَقولُ: إنَّ أَحسنَ ما يُقدَّم له مِن خلالِ جِهادٍ نَقيٍّ صافٍ واختِياراتٍ موفَّقةٍ وخِطابٍ إعلاميٍّ واعٍ وناضجٍ راشدٍ؛ أن يُربِّيَ ويُخرجَ مِن

خلاله طائِفةً مِن أَبناءِ البَلدِ والعَشائرِ تَحملُ رايةَ التَّوحيدِ، وتُجاهدُ مِن حولِها؛. فأَهلُ مكَّة- كما يُقالُ- أَدرى بِشِعابِها، وأَبناءُ البَلدِ عِند عُمومِ النَّاس أَوْلى بِالتَّصدُّر لِأُمورِها، والحَديثِ عَن هُمومِها، والبُروزِ لِتَحمُّل مَسؤوليَّاتِها.. وعدمُ التِفاتِ المُجاهدينَ إلى هذا الأَمرِ وعَدمُ اعتِبارِهم له، وعدمُ اهتِمامِهم بِمَوازينِ القُوى في البَلدِ وطَبيعَتِها وطَبيعةِ أَهلِها، ووَضعِ الغَريبِ عَنها أَوَّلًا وآخِرًا وإِغفالُ ذلك، يُعَدُّ إهمالًا لسُننِ الواقعِ، وإِعراضًا عن تَجارِبِ إِخوانِنا المُجاهدينَ في شتَّى البلادِ.

ولِذلكَ قلتُ مِرارًا: لا بدَّ مِن تَصديرِ العِراقيِّين في واجهَةِ المُقاومةِ، ولا بُدَّ مِن اختِيارِ قيادَةٍ إِسلاميَّةٍ عِراقيَّةٍ راشدَةٍ تَعرفُ هُمومَ الشَّعبِ العِراقيِّ، وتَعرفُ كيفَ تُخاطبُه بِخطابٍ واعٍ ناضجٍ يَجعلُها مَنارةً للنَّاسِ يَلتفُّون مِن حولِها، وتَتجنَّبُ كلَّ ما يُشوِّهُها مِن أَعمالٍ مَرجوحَةٍ أوِ اختِياراتٍ مُنفِّرةٍ أو مَفضولَةٍ، **هذا إِذا كانَ المُجاهدونَ هناك يَتطلَّعون إلى ثَمرةٍ تَمكينٍ لِجهادِهم، ولو على المَدى البَعيدِ**)[1].

هذه القَرائنُ كانتْ مُفيدةً لِقيادةِ القاعِدَةِ في رَسمِ تَصوُّرٍ عن حالِ أَتباعِها في العِراقِ لِمَعرفةِ إِنْ كانَ قَرارُهم بِإعلانِ الدَّولةِ صائبًا أو مناسبًا، أو كان نِتاج تهوُّرٍ وطَيشٍ مَعهودٍ من حالِ القاعِدَةِ، ومِن

(١) من رسالة المقدسي إلى الزرقاوي والمعنونة بـ(الزرقاوي؛ مناصرة ومناصحة آمال وآلام)، ومُؤرَّخة بـ(جمادى الثاني ١٤٢٥هـ).

ثَمَّ فإنَّ السَّعيَ للصُّلحِ أو إيجادِ حلٍّ وَسطٍ بَين القاعِدَةِ والفَصائلِ العِراقيَّةِ هو الأَنسبُ، ولَيس الاندِفاعُ الأَعمى لِلتَّأييدِ.

اعتَمدتِ القَاعِدَةُ على طريقةٍ غَريبةٍ في تَزكيةِ أَتباعِها، وتَصويبِ رَأيِهِم في إِعلانِ الدَّولةِ في العِراقِ، هذِه الطريقةُ لا تَتَّفق مع أيِّ أُسسٍ شَرعيَّةٍ أو مَوضوعيَّةٍ مُعتبَرةٍ؛ فمِن ذلكَ قولُ أسامةَ بنِ لادنَ: (إنَّ كثيرًا منَ النَّاسِ لا يَعرفونَ سيرةَ أُمراءِ المُجاهدينَ في العِراقِ، فأَقولُ: سَببُ ذلك ظُروفُ الحَربِ ودَواعيها الأَمنيَّةُ، إِلَّا أنِّي أَحسَبُ أنَّ الجهلَ بِمَعرفةِ أُمراءِ المُجاهدينَ في العِراقِ جَهلٌ لا يَضرُّ إذا زكَّاهمُ الثِّقاتُ العُدولُ كالأَميرِ أبي عُمرَ، فهوَ مُزكًّى مِنَ الثِّقاتِ العُدولِ مِنَ المُجاهدينَ، فَقد زكَّاه الأَميرُ أبو مُصعبٍ- رَحِمه اللهُ- ، ووَزيرُ الحَربِ أبو حَمزةَ المُهاجرُ الَّذينَ زكَّاهم صَبرُهُم وثَباتُهُم تحتَ صَواعقِ الغاراتِ فوقَ ذُرى الهِندكوشِ، وهم مِمَّن يَعرفُهم إِخوانُكم في أَفغانستانَ- أَحسبُهُم كذلك واللَّهُ حَسيبُهم، وَلا أُزكِّي على اللَّهِ أحدًا-؛ فالامتِناعُ عن مُبايعةِ أَميرٍ مِن أُمراءِ المُجاهدينَ في العِراقِ بَعدَ تَزكيَتِه مِنَ الثِّقاتِ العُدولِ بِعُذرِ الجَهلِ بِسيرتِه يُؤدِّي إلى مَفاسدَ عِظامٍ، مِن أَهمِّها تَعطيلُ قيامِ جَماعةِ المُسلمينَ الكُبرى تَحتَ إِمامٍ واحدٍ، وَهذا باطلٌ)[1].

إنَّ تَزكيةَ القاعِدَةِ لِرجالِها لَيستْ كافِيةً؛ إذ لا بدَّ مِن شهادَةٍ مُحايدةٍ،

(١) مجموع رسائل وتوجهات الشيخ المجاهد أسامة بن لادن (ص ٦٥٣).

لكنَّ الغريبَ أنَّه يَجعلُ وُجودَهُم في مِنطقةٍ تَعرَّضت لِقَصفٍ أَمريكيٍّ (جِبالِ الهِندكوشِ- أَفغانستانَ) عام ٢٠٠١ من مَحاسنِهم الَّتي تُوجِب تَزكيتَهم، ورَفْعَ شَأنِهم، ومِن ثَمَّ تَصويبُ اختِياراتِهم!

فلا تَرابُط بينَ الحَسناتِ السَّابقةِ والمُشكلةِ الحاليَّةِ؛ فَقد يُحسِن الرَّجلُ مرَّةً ويُسيءُ مرَّاتٍ كَثيرةً، وقد يُحسنُ في أوَّل أَمرِه ثُمَّ يَنتكِسُ بعدَ ذلك، والحيُّ لا تُؤمَن عليه الفِتنةُ، ووجودُهم في مِنطقةٍ تَعرَّضت لِلقصفِ هوَ بلاءٌ أَصابَ المُسلمين في تلك البِلادِ، وصَبرُ المُؤمنِ وثَباتُه في الشَّدائدِ لا يَعني أَهليَّتَه للقيادَةِ أو صَوابَ رأيِه في حادِثةٍ ما؛ فَقد يُوفَّق المُسلمُ العامِّيُّ إلى دَرجةٍ عاليةٍ منَ الصَّبرِ والرِّضا بِقضاءِ اللهِ، لكنَّه مع حَسنتِه هذه لا يَصلحُ لِلافتاءِ أوِ القَضاءِ، أو قيادةِ الجيشِ ورِئاسةِ الدَّولةِ؛ فصَلاحُ المَرءِ في نَفْسه لا يَعني صَلاحَه لِتولِّي الشُّؤونِ العامَّةِ وتَدبيرِ مَصالحِ الأُمَّة، وقد قال النَّبيُّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ لِأبي ذرٍّ الغِفاريِّ: (إنِّي أَراك ضَعيفًا، وإنِّي أُحبُّ لك ما أُحبُّ لِنَفسي؛ لا تَأمَّرَنَّ على اثنَين، ولا تَولَّيَنَّ مالَ يتيمٍ)[1].

الحاصِلُ من جميعِ ما سَبقَ: أنَّ القَاعِدَة حينَما أَيَّدتْ جَماعتَها في العِراقِ، وهاجَمتْ مُخالفيها في قَرارِ إعلانِ الدَّولةِ عام ٢٠٠٦، لم تَبنِ مَوقفَها على أُسسٍ شَرعيَّةٍ، بل كانتْ عَلى جهلٍ كَبيرٍ بِالواقعِ، يَتبَعُ هذا الجَهلُ التَّعصُّبَ والتَّحزُّبَ لِجَماعتِها، وكلُّ هذا مَمزوجٌ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٨٢٦)

بآراءٍ غَريبةٍ في الحُكمِ والتَّرجيحِ.

قَرارُ القَاعِدَةِ بتَأييدِ دَولةِ العِراقِ الإسلاميَّةِ كانَ بمنزلةِ الموافقَةِ والإقرارِ على كُلِّ الجَرائمِ الَّتي أَصابتِ المُجتمعَ السُّنِّيَّ في العِراقِ بسببها، أي: إنَّ القَاعِدَة وضَعتْ نَفْسَها في خَندقِ العَداءِ لِأَهْلِ السُّنَّةِ؛ لِمُجرَّد أنَّها وافَقتْ أَتْباعَها ومَن أَعلنَ البَيعةَ لها.

عطيَّةُ اللهِ اللِّيبيُّ

طُغيانُ الحِزْبِيَّة على المَوقفِ الشَّرعيِّ في قَضيَّةِ «الدَّولَة الإسْلامِيَّة»

يُعدُّ عَطيَّةُ اللهِ اللِّيبيُّ أَكثرَ رُموزِ القَاعِدَةِ حَديثًا عنِ الشَّأنِ العِراقيِّ، وقد وَقعتُ له عَلى كلامٍ يُوضِّح كيفَ يَتقلَّبُ أهلُ التَّشدُّد في مَواقفِهم تَبعًا لِلأَهواءِ والمَصالحِ الحِزْبِيَّةِ، دونَ اعتِبارٍ لِلمَصلحةِ الشَّرعيَّةِ، وَكيف يُقيمونَ الوَلاءَ والبَراءَ عَلى أَساسِ ما يَرونَه ويَرتَضونَه، وَكيفَ يَتورَّطونَ في مُعاداةِ المُجاهدينَ وعُمومِ المُسلمينَ مِن أجلِ الِانتِصارِ لِرأيِ مَجموعَتِهم.

خُلاصةُ الأَمرِ: أنَّ عطيَّةَ اللهِ اللِّيبيَّ كان يَرى أَلَّا تُبادرَ القَاعِدةُ في العِراق إلى إِعلانِ دَولةٍ إسلاميَّةٍ؛ لِعدمِ مُلائمَةِ ذلكَ لِأحوالِ البِلادِ، وبَعدَ أنْ أَعلنتِ القَاعِدَةُ الدَّولةَ تَحوَّلَ مِنَ المُعارضةِ إلى المُباركةِ والتَّأييدِ، والثَّناءِ عَلى الرَّأيِ السَّديدِ!

وسنوردُ كَلامَه قبلَ إِعلانِ الدَّولةِ وبَعده، ثُمَّ نُعلِّقُ على الأَسبابِ الَّتي دَفعتْه لِتَغييرِ رَأيِه.

أَوَّلًا: موقفُ عَطيَّةِ الله مِن دَولةِ العِراقِ الإسلاميَّةِ قبلَ الإعلانِ عَنها

كان يُؤكِّدُ: (نَحن دائمًا نُؤكِّدُ أَنَّنا بَعيدون عنِ السَّاحةِ ومَيدانِ العَملِ الَّذي هُم فيه وهُم أَهلُه؛ لأنَّ هذا الفَرقَ مُهمٌّ ومُؤثِّرٌ؛ فلا بُدَّ

للإِنسانِ دائمًا أنَّه مَهما أَبدى رَأيَه عليه أن يَتحفَّظَ ويَحتاطَ؛ لأنَّه لا يَدري لَعلَّ الواقعَ اقتَضى مِن إِخوانه اجتِهادًا مُختلفًا)[1].

(والرَّأيُ المَبدأُ الَّذي لا أَعتقدُ أنَّه يَختلِفُ فيه الإِخوةُ هوَ: أنَّ الاحتِفاظَ بالأَرضِ وإِقامةَ دَولةٍ أَو إِمارةٍ بمَعناها الإِصطِلاحيِّ، المُتضمِّنِ لِأرضٍ ومُؤسَّسات على الأَرضِ...إِلخ،، هذا غيرُ مُمكِنٍ وَلا مُناسبٍ الآن، ونحن في حالةِ حربِ عِصاباتٍ مع عدُوٍّ شَرسٍ وعاتٍ! هذا لا يَختلفُ فيه إِخوانُنا ولا يُخالفُ فيه أَحدٌ)[2].

وممَّا قاله أيضًا: (أنْ يَصبحَ العِراقُ دولةً إسلاميَّةً ويُمكَّنُ فيها لِدينِ اللهِ، فَهذا قد يَكون لا يَزالُ مُبكِّرًا، وَليس على اللَّهِ بمُستنكرٍ، وما ذلك عَلى اللهِ بِعزيزٍ، نَرجو رَحمتَه عزَّ وجلَّ وفَتحَه المُبينَ.

لكنَّ المَقصودَ أنْ نُلاحظَ الأَسبابَ والسُّننَ.

فالعِراقُ كَكلٍّ مُقبلٌ على انقِساماتٍ مُحتملَةٍ وحُروبٍ إِضافيَّةٍ، وَمهما يَكن مِن أمرٍ فالمُتوقَّعُ هو أنْ يَظلَّ العِراقُ، سواءٌ انهَزمتْ أمريكا وانْكسرَتْ وخَرجَت خائِبةً تَجرُّ أَذيالَ الخِزِّي والنَّدامةِ، أو بَقِيت إلى أنْ يَشاءَ اللهُ؛ فإنَّ العِراقَ سَيظلُّ ساحةَ جِهادٍ ونُقطةَ جَذبٍ وبُؤرةَ صِراعٍ بَين الحقِّ والباطلِ وبَين طَلائعِ الأُمَّة المُجاهدةِ وبَين

(١) الأجوبة لأسئلة أعضاء منتدى الحسبة، (ص ١٣٣) (وهو جواب عن السُّؤال: هل له ملاحظات على الزرقاوي؟).
(٢) الأجوبة لأسئلة أعضاء منتدى الحسبة (ص ١٤٠).

أَعداءِ المِلَّة والأُمَّة، وسيَظلُّ مَصنعًا لِلرِّجالِ والبُطولاتِ، وسيظَلُّ قَلعةَ إمدادٍ للحَركةِ الجِهاديَّةِ، واللهُ أكبرُ، ولله العزَّةُ ولِرسولِه ولِلمؤمنينَ ولكنَّ المُنافقينَ لا يَعلمون.

فنُشوءُ دَولةٍ في العِراقِ بِالمعنى الكاملِ، لَسنا مُستعجِلين عَليه. سيَأتي وقتُه روَيدًا.

لكن يُمكن- إذا خَرجتْ أَمريكا ذَليلةً حقيرةً- أن تَتكوَّنَ نَواةُ تلك الدَّولةِ الإسلاميَّةِ المَنشودةِ، ويُمكنُ تَسميتُها دَولةً أو إمارةً أو غيرَ ذلكَ.

والمَوقعُ المُحتملُ لها هو مَناطقُ أَهْلِ السُّنَّة، وخُصوصًا الأَنبارُ.

ولا يَنبَغي- في نَظَري- الحِرصُ عَلى تَأسيسِ دَولةٍ بالمَعنى المَعروفِ (المُتضمِّن للانحياز إلى أرض مُحدَّدة، ووُجودِ مُؤسَّسات وإداراتٍ على الأَرضِ، وشعبٍ مُنحصِرٍ في أَرضٍ...إلخ)، ولا التَّسرعُ في ذلك، فإنَّها تَستهلِكُ الطَّاقاتِ، وتَكون هدفًا سهلًا لِلعدُوِّ، والعدوُّ الجبانُ (الأمريكانُ وأَولياؤهم) عِصيُّهم طَويلةٌ وهيَ أَسلحةُ الجوِّ وأَسلحَةُ الدَّمارِ الشَّامل، فيَجبُ الحَذرُ مِن ذلك!

نَسألُ اللهَ تَعالى أنْ يَجعلَ كَيدَ الأَعداءِ في نُحورِهم.

والمُجاهدونَ هُم بحَمدِ اللهِ تعالى (أَعنى جَماعتَهم) في مَعنى الدَّولةِ وَفي قوَّتِها حاليًّا؛ لأَنَّهم سُلطانٌ له نوعُ تَمكينٍ، وإذا فتحَ اللَّهُ عليهم وهَزمَ عَدوَّتَهمُ الفاجرَةَ أَمريكا، فإنَّ سُلطانَهم سَيكون أَقوى

وأَعزَّ وأَمكنَ؛ فلا يَستعجِلوا.

وقد ذَكرتُ مسألةَ «استِهلاكِ الطَّاقات»، وقَصدْتُ أنَّ الإِصرارَ على التَّحوُّلِ مِن طَورِ الحَركةِ إلى الدَّولةِ قَبل أَوانِه يَستهلِك جُزءًا كبيرًا مِن طاقةِ المُجاهدين؛ لِإدارةِ هذه الدَّولةِ والحِفاظ عَليها، والمُجاهدون طاقَتُهم مَحدودَةٌ على بَركتِها وَالحمدُ للهِ، نَسألُ اللهَ أن يَزيدَهم بَركةً وقوَّةً وفَضلًا.

وَهناكَ صِيغٌ يُمكنُ لِلمُجاهدينَ أنْ يَلجؤوا إليها في هَذه المَرحلةِ لإدارةِ شُؤونِ النَّاسِ وَالبلادِ، بِحيثُ يَكونون همُ المُشرفينَ المُهيْمنين، وتُوكَّلُ إدارةُ شُؤونِ البِلادِ والعِبادِ إلى القُوى الاجتِماعيَّةِ المَحليَّة، والحَمدُ للهِ في النَّاس خَيرٌ كثيرٌ وقوًى كَبيرةٌ مَكنونةٌ سيَأتي وقتُ تَفعيلِها، وهذا له تَفاصيلُ سهلةٌ ومَيسورةٌ بِحمدِ الله، وعِندَ قياداتِ المُجاهدينَ العُليا خبرةٌ واسعةٌ بِهذا والحَمدُ للهِ)[1].

وجوابًا عن سُؤالِ: (هل تَرى صَوابَ ما تَفعلُه جَماعةُ أَنصارِ السُّنَّةِ مِن بَقائِها بَعيدةً عَنِ التَّوحُّد مَع إِخوانِهم في مَجلسِ شُورى المُجاهدينَ؟).

أَجابَ عطيَّةُ اللهِ: (فَالحكمُ بَين الإِخوةِ هَكذا عَن بُعد شيءٌ صَعبٌ وعُرضةٌ لِلخطأِ، ونَحن نَتمنَّى أن يَكونَ الإِخوةُ كلُّهم جَماعةً واحدةً متَّحدةً، سواءٌ في مَجلسِ الشُّورى المُشار إليه أو

(١) الأجوبة لأسئلة أعضاء منتدى الحسبة (ص ١٤٧-١٤٨).

في إطارٍ غَيرِه، ولكن لِماذا إخوانُنا في أَنصارِ السُّنَّة لَم يَدخلوا هذا المَجلسَ؟ فهَذا راجعٌ إلى اجتِهادٍ لَهم يَرونَه، ويَرونَ أنَّ بَقاءَهم مُستقلِّين أَفيدُ وأَنفعُ إلى الآنَ، مع أنَّهم حسبَ عِلمي لا يُمانعونَ منَ التَّوحُّد مع أيِّ جماعةٍ أُخرى مِن إخوانِهم بعدَ التَّعارُف والتَّواثقِ والاِطمِئنانِ الجيِّد)، وأنَّ عَدمَ انضِمامِ الأَنصارِ إلى القاعِدَة يَرجعُ إلى (اختِلافاتٍ مُعظمُها في العَمل عَلى المَيدانِ، في السِّياساتِ والإدارةِ، وَفي مُلاحظَتِهم على بَعضِ الأَطرافِ والشَّخصيَّاتِ، وما شابَه هذه الأُمورَ الَّتي يَختلفُ فيها الإخوةُ)[1].

وممَّا قالَه عطيَّةُ اللهِ أيضًا في تلك الآونةِ: (فَلا أَقولُ: إنَّ بيعةَ القاعِدَة تَلزمُ شَرعًا كلَّ المُجاهدين، بمَعنى أنَّها واجبةٌ مفروضةٌ، لا أَقول هذا، فضلًا عَن أن يَكونَ غيرُ المُبايعِ باغيًا أو مُبتدعًا)، لكن ذَكرَ أنَّه يَستحبُّ للمُجاهدينَ أن يَنضمُّوا لِلقاعدةِ (اللَّهمَّ إلَّا أن يَمنعَ مانعٌ، بمعنَى أن يَكون هناك ظَرفٌ في وَقتٍ منَ الأَوقاتِ وبَلدٌ مِن البِلدانِ يُفضِّل الإخوةُ المجاهدونَ فيه- بعدَ الدِّراسةِ والتَّشاورِ والبَحثِ المَبنيِّ على النَّظرِ لِلإسلامِ والمُسلمين- أنْ يكونوا غيرَ مُرتبطينَ بِتَنظيمِ القاعِدَةِ مُؤقَّتًا؛ لأسبابٍ سياسيَّةٍ ودُعائيَّةٍ وما شابَهَه، مَثلًا).

وقال أيضًا: (والقاعِدَةُ هي جَماعةٌ منَ الجَماعاتِ الإسلاميَّةِ

(١) الأجوبة لأسئلة أعضاء منتدى الحسبة (ص ١٣٣).

المُجاهدةِ، البَيعةُ فيها مَبنيَّةٌ على الاِختيارِ والشَّرطِ، وَعلى قاعدةِ مَشروعيَّةِ التَّعاهدِ بينَ المُسلمين لِأداءِ التَّكاليفِ الشَّرعيَّة، لا على التَّحريجِ والتَّضييقِ والإلزامِ بأَصلِ الشَّرع؛ فهيَ لَيست إمامةً عُظمى حتَّى لا يجوزَ لِرجلٍ يُؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ يَبيتُ لَيلَتينِ إلَّا وهوَ يَراها (القاعِدَة) إمامًا على نَفسِه).

ويَقولُ أيضًا: (فإذا سَعى كلُّ مُسلمٍ وكلُّ مَسؤولٍ وكلُّ جماعةٍ بِحسَبِ إمكانه إلى الوَحدةِ والاتِّحادِ والكَونِ مَع إخوانِهم جماعةً واحدةً، فمَنعه مانعٌ مِن ذلك، فإنْ كان هذا المانِعُ مُعتبَرًا في ظاهرِ الشَّرعِ، فنَقول: لا تَثريبَ عليه، حتَّى يَزولَ ذلكَ المانعُ، ونَرجو له أنَّه ناجٍ مِنَ الإثمِ، إنْ شاءَ اللهُ تعالى، غيرُ مُفرِّط، ونَسألُ اللهَ أنْ يَعفوَ عنه ويَسترَه ويُعافيَه، واللهُ لا يُكلِّفُ نَفسًا إلَّا وُسعَها.

وأمَّا المُفرِّطُ الَّذي لا يَسعَى للوَحدَةِ مَع إخوانِه، وَلا يَعملُ لأنْ يكونَ المُسلمونَ جماعةً واحدةً، ولا يَهتمُّ لِهذا الأمرِ ولا يُبالي به، وإذا وجدَ فُرصةً لم يَستغلَّها ولم يَأخذْ بِالواجبِ فيها، بل هو حَريصٌ على البَقاءِ وَحدَه لِمَا يرى في ذلكَ مِن المَزايا العاجلَةِ له.. فهذا نَقولُ: إنَّه مُتَّبعٌ لِهواه، وهو مُفرِّطٌ مضيِّعٌ لأَمرِه وأَمرِ المُسلمين، آثمٌ مُستحِقٌّ لِلعقوبةِ كما قُلنا، وهذا إذا عُرِف حالُه بِدلائلَ ظاهرةٍ قويَّةٍ (تُعرف مِن خلالِ المُعاشرةِ والتَّجارِبِ مَعه مثلًا، وشهاداتِ أَهلِ العقلِ الرَّاجحِ وأَهلِ الثِّقةِ إذا اجتَمعتْ)؛ فإنَّه يَجبُ الأَخذُ

على يَديه، ومُمارسةُ ما أَوجبَه اللهُ علينا تُجاهَه مِن مَراتبِ الإنكارِ والتَّغيير لِحاله السَّيِّءِ.

ونَحن في أَكثرِ الحالاتِ لا نَعلمُ هل الإنسانُ الفُلانيُّ (المُعيَّن) أوِ الجَماعةُ الفُلانيَّةُ (المُعيَّنةُ) مِن هذا الصِّنفِ السَّاعي لِلوحدةِ صِدقًا، العاملُ لَها حقًّا، أو مِن ذلك الصِّنفِ المُفرِّط المُضيِّع، هذا مِنَ الصَّعبِ أن نَعرِفَه في أَكثرِ الحالاتِ؛ فَما علينا إلَّا بالظَّاهِر وَنستمِرُّ في دَعوتِنا لِإخوانِنا جَميعًا أنْ يَتَّحدوا ويُكوِّنوا جَماعةً واحدةً).

وممَّا قاله أيضًا: (ما دامتْ هناك جَماعةٌ مَرضيَّةٌ شَرعًا تُجاهدُ في سبيلِ اللهِ، يُمكنُ للإنسانِ أنْ يَنضمَّ إليها وَيَكون مَعها ويُقاتلَ تحتَ رايتِها، ويُحقِّقَ مَقصدَ الوَحدةِ والاِجتماعِ، حتَّى على شَيءٍ منَ الأَخطاءِ والنَّقصِ، وأيُّ الجماعاتِ المهذَّبُ..؟! ما دامتْ هذه الأَخطاءُ وذلك النَّقصُ لا يوجِبُ الخُروجَ عليها، (لَو كانَ الإنسانُ مُنتميًا إليها)، وَلا يوجِبُ لها فَشلًا محقَّقًا وتَضييعًا لِلمَقصودِ مِن الجِهادِ؛ فلا يَجوزُ له أنْ يُنشئَ جَماعةً جَديدةً؛ لأنَّ هَذا خِلافُ الأدلَّةِ الَّتي أشرْنا إلى أطرافِها أعلاه، وخِلافُ مَقصدِ الشَّرع الواضحِ المُتقرِّرِ بوجوبِ كَونِ المُسلمينَ جماعةً واحدةً ما أمكنَ؛ فمَن يُشكِّل جماعةً جَديدةً في هذه الحالَةِ فهوَ مُخالفٌ للشَّرعِ ساعٍ في الفَسادِ، يُنكَـرُ عليه ويُمنَع!

إلَّا أنْ يوجَد مانعٌ يمنعُه مِن العَملِ مع تِلك الجَماعةِ المَوجودةِ،

وَهذا المانعُ نَوعان: إمَّا مانعٌ حِسِّيٌّ واقعيٌّ، كأنْ لم يُمكنْه الاتِّصالُ بتلك الجَماعةِ والعَملُ مَعها؛ للظُّروفِ السِّياسيَّة والأمنيَّة والجُغرافيَّةِ، ونَحو ذلك، أو مانعٌ معنويٌّ شَرعيٌّ، وهوَ أنْ يكونَ عِندَه على تلكَ الجماعةِ مُلاحظةٌ شرعيَّةٌ يَعتقدُ- بعدَ التَّثبُّت وبِحسَبِ مِيزانِ الشَّرعِ والتَّقوى والعِلمِ والفِقهِ الصَّحيحِ- أنَّها (تلكَ المُلاحظةُ) تَمنعُه مِن الِالتحاقِ بها، والِانضمامِ إليها والعَملِ مَعها وتحتَ رايتِها، **كأنْ تكونَ جماعةً مُنحرفةً انحرافًا ظاهِرًا في دِينِها، مِثل الجَماعاتِ البَرلمانيَّةِ، أوِ الغاليَّةِ في الدِّينِ، كالمُبتلاةِ بالغُلوِّ في الإرجاءِ، أوِ الغُلوِّ في التَّكفيرِ والتَّبديعِ والتَّفسيقِ ونَحو ذلكَ، أوِ الجَماعة غيرِ المَوثوقةِ في قيادتِها ويَخشى الإنسانُ أنَّ قيادتَها فاسدون لا يُصلحونَ، أهلُ دنيا وتَكالُبٍ عليها وأهلُ سَفاسفَ وفسادٍ لا دينَ لهم، أو أنَّهم خَونةٌ، أوِ اطَّلع عَلى شَيءٍ فيها مِن هذا القَبيلِ ممَّا يُخالِف ظاهرَها، والعياذُ باللهِ؛ فهَذه كلُّها مَوانعُ مُعتبَرةٌ.**

فحينئِذٍ لو تَركَها وأسَّس جماعةً أُخرى؛ لِيُجاهدَ في سَبيلِ اللهِ بِشكلٍ صَحيحٍ مَرضيٍّ شرعًا، فَهذا غيرُ مُسيءٍ، بل هوَ مُحسِنٌ، وما على المُحسنينَ مِن سَبيلٍ).

وَقد وَرد له سؤالٌ هذا نَصُّه: (يوجَدُ في مِنطقتِنا الَّتي نَعيش بها مُجاهدون كُثرٌ، ويَملكونَ السِّلاحَ الكثيرَ، وباستِطاعتِنا إقامةُ إمارةٍ إسلاميَّةٍ مُصغَّرةٍ، ولكنَّ عُذرَ المُجاهدين أنَّ المَصلحةَ السِّياسيَّةَ

تَتطلَّبُ ذلك والنَّاسُ يَعيشون في هذه المِنطقةِ الفسادَ لِتَقصيرِنا في لَجمِهم؛ فَما هوَ الحُكمُ الشَّرعيُّ في تَرك إقامةِ الدِّينِ بِحُجَّةِ حِمايةِ الأنفسِ والدَّعوةِ؟).

فأجابَ عطيَّةُ اللهِ: (يَجبُ على المُسلمينَ أنْ يُقيموا الدِّينَ وأحكامَ اللهِ تَعالى في أنفسِهم ومُجتمعِهم وما تَحتَ وِلايتِهم على قَدرِ استِطاعتِهم، وَلا يُكلِّفُ اللهُ نَفسًا إلَّا وُسعَها، ومِن ذلك الأمرُ بِالمَعروفِ والنَّهيُ عنِ المُنكرِ، والقَضاءُ بينَ النَّاسِ بِشريعةِ اللهِ تَعالى، والجهادُ في سبيلِ اللهِ، وإقامةُ السُّلطةِ والإمارةِ الَّتي تَلتزِم بِدين اللهِ وتَحكُم بِشريعَتِه وتُنفِّذ تلكَ الأحكامَ، وتَقومُ عليها وتَحرسُها وتَسوسُ الدُّنيا بِالدِّينِ؛ فإنْ عَجزوا عنِ البَعضِ تَركوه إلى حينِ القُدرةِ، وفَعلوا ما يُمكِنُهم.

وممَّا يَدخلُ في مَعنى العَجزِ: أنَّك تَقدرُ على تَنفيذِ شَيءٍ منَ الأحكامِ، لَكنَّك تَكونُ تَعرِفُ أنَّه يَنشأُ عن ذلكَ مَفسدةٌ كَبيرةٌ، وضَررٌ كَبيرٌ، ومُنكرٌ كَبيرٌ عَلى المُسلمينَ أكبرُ مِن مُنكرِ تَركِ تَنفيذِ وتَطبيقِ تِلكَ الأحكامِ؛ فَفي هذه الحالةِ فإنَّك في الحَقيقةِ عاجزٌ عَن تَطبيقِ الحُكمِ، غيرُ قادرٍ.

فليسَ المَقصودُ بالقُدرةِ مُجرَّدَ القُدرةِ على الفِعلِ وتَطبيقِ الحُكمِ في الحينِ واللَّحظةِ، ولِيَحصلَ بَعدَها ما يَحصُلُ منَ المَفاسدِ والمُنكراتِ والأضرارِ الكَبيرةِ الرَّاجحةِ على المُنكرِ الَّذي

كانَ..! لا.. لَيس هذا هوَ مَعنى القُدرةِ.

بل مَعنى القُدرةِ: أنَّك تُطبِّق الحُكمَ وتُنفِّذه وتُمضيه كَما أمرَ اللهُ بكلِّ مَعناه، فتُحصِّل المَقصودَ منه، منَ الصَّلاحِ الدِّينيِّ الأُخرويِّ ثُمَّ الدُّنيويِّ، دونَ ضررٍ وفَسادٍ أكبرَ راجحٍ.

ومِقياسُ هذه المَصالحِ والمَفاسدِ يُرجَعُ فيها إلى الفِقهِ والشَّريعَةِ، ويَنظرُ فيها الفُقهاءُ الموثوقون، ويَتشاورُ مَعهم في تَقديرِ المُشتبِه مِنها الأُمناءُ مِن أهلِ الحَلِّ والعَقدِ في كلِّ ناحيةٍ.

فإذا أخذَ الإخوةُ بِأسبابِ العِلمِ النَّافعِ، وسُؤالِ أهلِ العِلم وأهلِ الرَّأيِ والشُّورى وحُسنِ المُدارسةِ، مَع التَّقوى والصِّدقِ والإخلاصِ والتَّجرُّدِ؛ فواللهِ لَن يَروا إلَّا الخَيرَ والفَلاحَ.

فالحاصِلُ: أنَّ الإخوةَ عَليهم أنْ يَنظروا في المُناسبِ بِحَسبِ هذه الضَّوابطِ، ويَتعاونوا ويَتياسَروا وَلا يَتعاسَروا، ويَتطاوَعوا وَلا يَختلِفوا، ولِيعلَموا أنَّ يدَ اللهِ معَ الجَماعةِ، وأنَّ اللهَ تَعالى أمَرَ المُسلمينَ المُؤمنينَ بالوِحدةِ وَالائتِلافِ، ونَهاهُم عنِ الفُرقةِ والاختِلافِ، وأنَّ الخِلافَ شرٌّ.

فلا يُخالفُ المُسلمُ جَماعةَ إخوانِه المُسلمينَ المُتآلفينَ المُجتمِعينَ على طاعَةِ اللهِ ورَسولِه وَعلى الخَيرِ، إلَّا إذا رأى خِلافًا لِأمرِ اللهِ تَعالى في شَيءٍ مُستيقَنٍ مَعلومٍ، لا أمرٍ اجتِهاديٍّ مُحتمَل مَوكولٍ فيه التَّصرُّفُ إلى أهلِه.

ولْيَكنِ الخِلافُ- حينَ يكونُ لا بدَّ مِنه في الأمرِ المُستحَقِّ والمُستيقَنِ كَما قُلنا- خِلافًا مُلتزِمًا بحُدودِ اللهِ تَعالى، وبِما أمَرَنا عزَّ وجلَّ مِنَ الأدبِ والعَدلِ والقيامِ بالقِسطِ؛ لا فُجورَ فيهِ ولا خِيانةَ، وَلا بَذاءةَ وسوءَ خُلقٍ؛ فمَن كان وِفاقُه لِأجلِ اللهِ، وخِلافُه لِأجلِ اللهِ، وعَلى بَصيرةٍ ونورٍ منَ اللهِ، فهوَ المُفلحُ الفائِزُ)[1].

ملاحظاتٌ على موقفِ عطية الله قبلَ إعلانِ الدَّولةِ:

١- اتِّساعُ النظرِ في المآلاتِ، ومُراعاةُ رُجحانِ المصالِحِ على المفاسدِ في قضيَّةِ إعلانِ الدَّولةِ.

٢- التأكيدُ على أنَّه ليسَ قريبًا من المَيْدانِ، ولا يُمكنُه أنْ يَحكمَ على ما يَجري فيه مِن خِلافٍ بينَ الجماعاتِ وتنوُّعٍ في الاجتِهاداتِ.

٣- أنَّه يلتمِسُ العُذرَ لِمَنْ يخالِفُ القاعِدَةَ فيما تراهُ، وأنَّ هناك أعذارًا مُتعدِّدةً لمَن يتخلَّفُ عن الالتحاقِ بها.

٤- أنَّه لا يُمكِنهُ التَّمييزُ بينَ المفرِّطِ في عمليَّةِ التوحُّدِ والاجتِماعِ، وبينَ المعذورِ؛ وعليهِ فلا سبيلَ إلَّا مُعاملةُ النَّاسِ بحسَبِ ظاهرِ حالِهم، والاستمرارُ في الدَّعوةِ إلى الوَحدة والائتِلاف.

٥- يَرَى أنَّ الغلوَّ والتكفيرَ أو عدم الأهليَّةِ للقيادةِ من مَوانعِ الالتِحاق بجماعةٍ مُسلَّحةٍ معيَّنةٍ.

وفي الجُملةِ: كان عطيةُ اللهِ مُتحرِّزًا من الطَّعنِ في رأيٍ أو مجموعةٍ

(١) الأجوبة لأسئلة أعضاء منتدى الحسبة (ص ١٠٢-١٠٣).

ما، مُتحرِّيًا التماسَ العُذرِ لِمَن يُخالفُ جماعَته، يَستحضِرُ الفِقهَ إلى جانبِ النظرِ في الواقعِ عندَ الحُكمِ وتقييمِ الأحداثِ.

ثانيًا: موقِفُ عطية الله من دولةِ العِراقِ الإسلاميَّةِ بعدَ الإعلانِ عنها

يُمكنُ القولُ: إنَّ موقفَ عطيَّةِ اللهِ الليبيِّ قد تَغيَّر (١٨٠) درجةً فيما يَتعلَّق بدولةِ العراقِ الإسلاميَّةِ؛ فبَعدَ أنْ كان لا يُحبِّذُ الإعلانَ ويرَى عدمَ التسرُّعِ والاستعجالِ في هذه المسألةِ، وأن يُرجئَ الأمرَ إلى ما بَعدَ انسِحابِ القوَّاتِ الأمريكيَّةِ؛ لِدراستِه في حِينِهِ واتخاذِ ما يُناسِبُ الحالَ، وكانَ في موقفِه هذا مُراعيًا للمَصالحِ والمفاسدِ، مُغلِّبًا جانبَ عدمِ التهوُّرِ، لكنَّه أصبحَ بعد ذلكَ مندفعًا أشدَّ الاندِفاع إلى نُصرة دَولةِ العراقِ الإسلاميَّةِ، مُهاجمًا خصومَها، وهذه بعضُ عباراته:

(إنَّ دولةَ العراقِ الإسلاميَّةَ تَحظى بالشرعيَّةِ المستنِدةِ إلى الحَقِّ الثابتِ المتقرِّر في الشَّريعَة الإسلاميَّةِ وفِقهِها، وتَحظَى بقَدْرٍ طيِّبٍ وكافٍ من الشَّعبيةِ؛ فدَولةُ العراقِ الإسلاميَّةُ لها شعبيَّةٌ كبيرةٌ في مناطقِها، ومعها جماهيرُ عريضةٌ؛ مُبايعةً أو مُؤيِّدةً ومُتعاطِفةً، أو حتى داخلةً تحت سلطانِها بالرغبةِ والرهبةِ، درجات.

هي وِلايةٌ لها وجودٌ على الأرضِ فِعليٌّ وواقعيٌّ، يَفرِضُ نفسَه، وينفِّذ الأحكامَ، سُلطتُها وأمرُها وكلمتُها نافِذةٌ وعاليةٌ في مناطقَ واسعةٍ وشاسعةٍ من الأرضِ، ودَعْكَ مِن كلمةِ واسعةٍ، اعتبرْها

حتى مناطقَ ضيقةً، إن شئتَ... ونحنُ نكادُ نجزمُ بأنَّ أكثرَ من نِصفِ أهلِ السُّنَّة مع الدولةِ، ومُؤيِّدونَ لها، مُحبُّونَ داعمونَ)[1].

ووصَف دولةَ العراقِ الإسلاميَّةَ بأنَّها: (الجهةُ التي لا يُدانيها جِهةٌ أخرى يُمكن أن يَجتمعَ عليها المُسلمون وأهلُ الجِهادِ في العراقِ، وليسَ هناك جِهةٌ أحقُّ منها؛ لأسباب كثيرةٍ)[2].

وجوابًا عن السُّؤالِ: (البَعض يتحدَّث عن خَطرِ الاختِراقاتِ على الجماعاتِ الجِهاديَّةِ؛ فهلْ هناكَ فعلًا اختراقٌ حاصلٌ لهم حسَب تصوُّرِكَ؟ وهل الأعمالُ التي تَنسِبها بعضُ الفصائلِ العراقيةِ للدولةِ العراقيَّةِ الإسلاميَّةِ- أو كما يَرغبون أن يُسمُّوها (تنظيم القَاعِدَة)- هل هي برأيك نتيجة اختراقات مثلًا، ولو في جزءٍ منها على الأقلِّ؟!)

كان ردُّ عطية اللهِ: (الاختراقُ- أخي الكريم- مُحتمَلٌ وجودُه لأيِّ تنظيمٍ أو دولةٍ، لكنَّ النقطةَ الفارقةَ هي: على أيِّ مستوًى حصلَ الاختراقُ؟ فالمشكلةُ الكبيرة المدمِّرة هي أن يَتمكَّنَ العدوُّ من اختراقكَ على مستوى القيادةِ.

(١) لقاء مركز اليقين بالشيخ الفاضل عطية الله (جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ/ يونيو ٢٠٠٧) (عدد خاص)، ص ٨-٩.

(٢) المصدر السابق (ص ١٠).

وأمَّا السؤالُ عن دولةِ العراقِ الإسلاميَّةِ بخُصوصِها، فاعتقادي أنَّها إنْ شاء اللهُ في أيدٍ أمينةٍ موثوقةٍ، وأنَّ قوةَ العَقيدةِ وحساسيَّةَ الإخوة لصِحَّةِ المنهجِ وسلامتِه، وطريقَ الأخْذِ بالعزائمِ، والقناعاتِ والوعيِ المتراكمِ الذي- مفادُه: أنَّ إمامَنا أمامَنا، وقادَتنا قُدوتُنا، وأنَّ القيادةَ تنبعُ من الميدان، وأعني به ميدانَ العملِ الصَّالحِ بمعناه الأشملِ، الذي من أبرزِ مُكوِّناته هنا: الجهادُ بالنَّفسِ، وثبوتُ صدقِ وصِحَّةِ سِيرةِ الإنسان مع الزمن، وتجاوزُه العديدَ من الاختباراتِ الصَّعبةِ، وخروجه من المحكَّاتِ نقيًّا مُهذبًا، وعدم التعويل على مجرَّد «القول» و«الكلام»، وغير هذه الأشياء من المبادئِ والقناعاتِ، ومكوِّنات الوعي لدَى القَاعِدَة ومَن شاكَلَها وقارَبَها، وسار على النَّهجِ نفسِه من الجماعاتِ، هذه كلُّها تَجعَلُ من اختراقِها شيئًا كالمُستحيلِ على مستوى القيادةِ والتأثيرِ.

وأمَّا ما قلتَ: إنَّ بعضَ الجماعاتِ يَنسُبُ أشياءَ من الأخطاءِ إلى دولةِ العراقِ الإسلاميَّةِ، وهلْ يقالُ: إنَّ هذه الأشياءَ لو صَحَّت جزئيًّا هي واقعةٌ نتيجةَ اختراقات؟ فهذا لا يُمكن الكلامُ في تفاصيلِه؛ لعدمِ اطِّلاعِنا على التَّفاصيلِ اطِّلاعًا يُؤهِّلنا للحُكمِ، لكن إنْ وُجِد شيءٌ من ذلكَ فهذا لا يُنافي ما قدَّمته، ويكونُ من الدَّخَنِ الذي قد يَحصلُ في أيِّ جماعةٍ بشريَّةٍ على مُستوياتٍ دُنيا)[1].

(١) لقاء مركز اليقين بالشيخ الفاضل عطية الله (جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ/ يونيو

في هذا النصِّ الأخيرِ يُبرِّئُ عطيَّةُ اللهِ جماعةَ القاعِدةِ من تَعرُّضِها للاختِراقِ، أمَّا ما يُنسَب لها فإنَّه يَعتذرُ عن الجوابِ عنه؛ (لعدَمِ الاطِّلاع على التفاصيلِ اطلاعًا يُؤهِّل للحُكمِ)، أي: إنَّه في الأمورِ التي يَسمعُها من أصحابِهِ يسارِعُ إلى تَصديقِها والجزْم بها، وحينما يُوجَّه الاتهامُ إلى أصحابِه يُسارِع إلى الزَّعمِ بأنَّه لا يَملك مَعرفةً كافيةً للحكمِ!

نَظراتٌ في سببِ التحوُّل:

يقولُ: (سأُسجِّلُ تعليقًا صغيرًا هنا، وهوَ أنَّني أنا نَفسي كنتُ ممَّن لا يُؤيِّد إعلانَ إمارةٍ إسلاميَّةٍ في العراقِ في هذه المرْحلةِ، وكانَ رأْيي أنَّ ذلك مُبكِّرٌ، وربَّما كان سابقًا لأوانِه، وأشرتُ إلى رَأيي هذا في لقائي مع مُنتدى الحِسبةِ العامَ الماضي، فيُمكِنُ مراجعتُه؛ لأنَّ الإخوةَ سألوني ثمَّةَ: هل تُؤيِّد إقامةَ إمارةٍ إسلاميَّةٍ الآنَ في العراقِ، كما كانَ الشيخُ الشهيدُ أبو مصعبٍ الزَّرقاويُّ رحمَه اللهُ أشارَ إليها في شريطِه المرْئيِّ، وذكرَ أنَّها مَشروعٌ يمكنُ أن يَنطلِقَ في الأشهُرِ القادِمةِ؟

لكنِّي أعرِفُ أنَّها مَسألةٌ اجتِهاديَّةٌ قابلةٌ للنَّظرِ والاختِلاف، ولمَّا أعلنَ الإخوةُ عن الإمارةِ (الدولة) فعلًا، تَريّثتُ حتى تجمَّع عندي من المُعطيات والنظرِ ما جَعَلني أؤيِّدُها، وأراها تستحقُّ التأييدَ

٢٠٠٧) (عدد خاص) (ص ١١-١٢).

فِعلًا، ورأيتُ لدَى الإخوةِ وِجهةَ نَظرٍ واعتباراتٍ وَجِيهةً جدًّا، وأنَّ نصرَها ودَعمَها هو الأفضلُ إن لم يكن الواجبُ.

فقد كانَ الإعلانُ حرَكةً سياسيَّةً استِباقيَّةً، وقد تَوفَّرتْ عندَ الإخوةِ مَعلوماتٌ مؤَكَّدةٌ جِدًّا بأنَّ هناكَ جِهاتٍ غيرَ مرضيَّةٍ مُنتسبةً إلى أهلِ السُّنةِ كانت بِصددِ الإعدادِ لإعلانِ تَشكيلٍ سِياسيٍّ قَريبٍ من الدولةِ وفي مَعنى الدولةِ، ويُراد له احتواءُ أهلِ السُّنةِ وتحقيقُ السَّبقُ الذي هو أيضًا يَدخُل بوجهٍ من الوجوهِ في معنى «الشَّرعية».

وكانَ تَشكيلُ الدولةِ والإعلانُ عَنها حرَكةً سياسيَّةً استِباقيَّةً؛ لاحتِمالِ هُروبٍ مُفاجِئٍ للعدُوِّ الصليبيِّ في أيَّةِ لحظةٍ.

وكانَ فيه فوائدُ أخرى وإيجابيَّاتٌ سَتتبيَّنُ للمتلبِّثينَ إن شاءَ اللهُ.

والحاصلُ: أنَّ الإخوةَ في الأرضِ وعلى الميدانِ لهم وَجهٌ وَجيهٌ في إعلانِ هذهِ الإمارةِ، والله أعلمُ. وهمْ عِندنا ثِقاتٌ مُؤتَمونَ والحمدُ للهِ، وما يُوجدُ مِن ملاحظاتٍ وقُصورٍ نَرجو أنَّه يَنصلِحُ معَ الوقتِ، وتَضافُرِ الجهودِ إن شاءَ اللهُ)[1].

لم يُوضِّحْ عطيةُ اللهِ الأسبابَ والمعطياتِ المسْتجدَّةَ التي جَعلَتْه يُغيرُ مَوقِفه مِن قضيَّةِ إعلانِ الدَّولةِ، بل أَبهمَ الأمرَ، وكانَ الأحْرى به الإيضاحَ والتَّفصيلَ كما فعلَ عِندما بَيَّن أسبابَ مُعارضَتِه في

(١) لقاء مركز اليقين بالشيخ الفاضل عطية الله (جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ/ يونيو ٢٠٠٧) (عدد خاص) (ص ٩).

المرَّةِ الأُولى.

ثم أحالَ بعضَ هذهِ الأسْبابَ إلى المبرِّراتِ التي ساقَتْها جماعتُه، ودفَعتْهم لهذهِ الخُطوةِ، أي: إنَّه يَستشهِدُ ويَحتجُّ بِكلامِ أحد أطرافِ الخُصومةِ والنِّزاعِ، ويَجعلُ مِن ذلكَ سببًا في تحوُّلِه نحوَ التأييدِ بعدَ أن كانَ يعارِضُ الفِكرةَ.

ومعلومٌ أنَّ ما ذكَره مِن مَعلوماتٍ مُؤكَّدةٍ من أنَّ جِهاتٍ سُنيَّةً كانَت بِصَددِ الإعْلانِ عن دَولةٍ، أو أنَّ هُناك توقُّعاتٍ بانسِحابٍ مُفاجِئٍ لقوَّاتِ الاحتِلالِ، فهذا كلُّه يَندرِجُ في الظنونِ التي لا تَصلحُ أن تكونَ حُججًا ومبرِّراتٍ سائغةً لإعلانِ الدَّولةِ، وهيَ ظُنونٌ ليسَ لها أيُّ شواهِدَ في الواقعِ، ولا يوجدُ أيُّ شيءٍ يُمكن أنْ يَدعمَ مَقالةَ القَاعِدَةِ بشأنِ تَحصينِ ثَمرةِ الجِهادِ والحفاظِ علَيها مِن العَلْمانيِّينَ والإخوانِ المسلمينَ، وغيرِهم مِن المنحَرِفينَ عن السُّنةِ في نظَرِ القاعِدَةِ.

ولوِ افترضْنا صِحَّةَ مزاعمَ القاعِدَةِ، فإنَّ إعلانَ الدولةِ لم يكنْ حلًّا لإيقافِ هذهِ المؤَامرةِ وحِمايةِ المكاسبِ الجِهاديةِ؛ فالقاعِدَةُ بعدَ إعلانِها الإمارةَ لم تتحوَّلْ إلى دولةٍ فِعليَّةٍ تديرُ شؤونَ المناطِقِ الخاضِعةِ لها وَفقَ مؤسَّساتٍ وأنظمةٍ، ومحاكمَ وأجهزةً أمنيَّةٍ، وإنَّما بقيتْ على حالِها الأُولى كعِصابةٍ مُسلَّحةٍ لها نفوذٌ مَحدودٌ في بعضِ المناطِقِ، ويشارِكُها في هذا النُّفوذِ (الجماعاتُ السُّنيةُ

الأخرى، القوَّاتُ الأمريكيَّةُ، القوَّاتُ الحُكوميَّةُ).

وممَّا يَنبغي معرفتُه كذلكَ أنَّ الموقِفَ الأوَّلَ لعطيَّةِ اللهِ كتَبه في ٢ أيلول من عام ٢٠٠٦م، أي: قبلَ إعلانِ الدولةِ بشَهرٍ ونِصفٍ تقريبًا، وموقفُه الثاني الذي أوضَحَه في مقالِ (كلماتٌ في نُصرةِ دَولة العراقِ الإسلاميَّةِ) جاء في ١٣ كانون الأوَّل من العام نفْسِه، أي: بعدَ إعلان الدولة بشهرين!

فمَتى تمكَّنَ من جَمعِ المُعطياتِ، وأعادَ النظرَ فيها حتَّى خرجَ بهذِه النَّتيجةِ المغايِرةِ تمامًا لموقفِه السابقِ؟! وما الذي استجدَّ في الساحةِ العراقيَّةِ خلالَ هذه المُدَّة القَصيرةِ؟!

بل إنَّ كلَّ المستجدَّاتِ كانتْ تؤكِّدُ أنَّ فِكرةَ إعلانِ الدولةِ كارثيَّةٌ بكلِّ مَعنى الكلمةِ، ولا تُسهِمُ إلَّا في تَأزيمِ الصِّراعِ، وقَتْل أيِّ حَلٍّ للأُمورِ المُتأزِّمة، وإيجادِ مَخرجٍ لأهلِ السُّنةِ.

وكيفَ تَمكَّنَ مِن مَعرفةِ ما يَجري على الأرضِ؟ وما حَجمُ التأييدِ والقَبولِ لمشْروعِ الدَّولةِ؟ وما هي حُجَجُ المعارضينَ؟ وهلْ يوجدُ لها نفوذٌ حقيقيٌّ ووجودٌ فعليٌّ على الأرض؟

وإنْ كانَ التحوُّلُ في موقفِ عطية اللهِ ناشئًا مِن النظرِ في المعطياتِ ومُراجعة مَوقفِه السابقِ في ضوئِها؛ فلا شكَّ في أنَّه لم يأخذْ في الحُسبانِ واقعَ أهلِ السنَّةِ في صِراعهم معَ الشِّيعةِ في العاصِمة بَغدادَ وما حولَها؛ لأنَّه لو اقترَبَ من هذا المِلَفِّ ودقَّقَ فيه،

لوَجدَ أنَّ أكثرَ ما يَصُبُّ في مَصلحة المعركةِ معَ المليشياتِ الشِّيعيةِ هو إعلانُ دَولةٍ إسلاميةٍ، واعتبارُ المعارِضين لها مِن (العُصاة).

وبهذا يَتبيَّنُ كيفَ يكونُ التقلُّبُ في المواقفِ والتغيرُ في موازينِ المعاداةِ والموالاةِ، وكيفَ يَحدُثُ الانتِقالُ من جانبِ لِينِ التعامُلِ معَ المسلمينَ والْتِماسُ الأعذارِ للمُخالفينَ، إلى الاستِماتةِ في الدِّفاع عن جَماعةٍ معيَّنةٍ لا تَعْدُو أن تكونَ طَرَفًا في الصِّراعِ دونَ الاستِناد إلى بيِّنةٍ أو حُجَّةٍ.

ولوْ أردْنا أن نَعرِضَ موقفَ المعارِضينَ لدَولةِ القاعِدةِ في ضَوءِ الكلام الأوَّلِ والرأيِ المتقدِّمِ لعطية اللهِ، لوَجَدْنا لهم أعذارًا في مُعارضتِهم، ولا يَنبغي الإنكارُ عَليهِم.

حِزبيَّةٌ تعبَثُ بمِعيارِ الولاءِ والبَراءِ:

لم يَكتفِ عطيَّة اللهِ بمناصَرةِ جماعتِه والانحيازِ إليهمْ، بلْ أخذَ يُقرِّر أنَّ الجماعاتِ العاملةَ في السَّاحةِ الجِهاديَّةِ غيرُ مؤهَّلةٍ لحَمْلِ الأمانةِ، وأنَّ القاعِدَةَ وحدَها تتميَّز بمنهَجٍ نقيٍّ لا شائِبةَ فيهِ، وهوَ يجعلُها- دونَ غَيرِها- قادِرةً للتصدِّي للمُهماتِ العِظامِ، وأنَّه يجوزُ لها أنْ تُحاسِبَ وتعاقِبَ المخالفينَ لها.

وهذا التمييزُ بينَ المؤمنينَ وتَفضيلُ طائِفةٍ على أخرى واتخاذُها مِحورًا للمُعاداةِ والموالاةِ هو العبثُ المَقصودُ بِمعيارِ الولاءِ والبراءِ، فبدلًا من ضَبطِ المواقفِ من الأشخاصِ والجماعاتِ

بحسَبِ موافقتِها لشرعِ اللهِ والتزامِها له، تُصبحُ المواقفُ مرتبِطةً بمدى مُتابعةِ أو مخالفةِ المجموعة الفُلانيةِ، بِدعوى أنَّها الأقربُ إلى الحقِّ.

في البدايةِ تحدَّثَ عطيةُ اللهِ عن الخِلافاتِ بينَ مناهجِ الجَماعاتِ المُجاهدةِ في العراقِ، فَقالَ: (أمَّا الخِلافاتُ بينَ الفَصائلِ والجماعاتِ فهو واقِعٌ، وهو مِن المصائبِ والبلاءِ، وله أسبابُه التي مِنها صِراعُ المناهجِ فعلًا.

هناكَ صِراعٌ بينَ مَنهجِ التوحيدِ والجهادِ والسُّنةِ والولاءِ والبراءِ، أو ما يُسمِّيه البعضُ بالسلفيَّةِ الجِهاديَّةِ، وبينَ مناهجَ أُخرى مُتفاوِتةٍ في بُعدِها واختلافِها معَ المنهجِ المذكورِ... لا بدَّ مِن دَفع أقدارِ الفُرقة والتنازُعِ والاختِلاف بأضدْادِها، وهيَ المحاولاتُ والسَّعيُ الجادُّ والمستمِرُّ الدائمُ إلى إيجادِ الاتِّحادِ والاجتماعِ والائتِلافِ، والولاءِ الإيمانيِّ، والتعاصُمِ والتعاونِ، والتحابِّ والتوادِّ والتعاطُف... بعد أخْذِنا بكلِّ الأسبابِ المتقدِّمةِ ودَفْعِنا بالتي هي أحسنُ، وسَعْينا الجادِّ بحزْمٍ وقوةٍ، وقيامِنا بما في وُسعِنا من دَفْعِ القَدَرِ بالقَدَرِ؛ فإنَّنا قد نصلُ أحيانًا إلى حالةٍ لا بدَّ فيها من وَقفةِ حقٍّ ننصرُ الحقَّ ونكونُ معَه، ولا نكونُ معَ الباطلِ أبدًا، يمكنُ أن تسمِّيَها نقطةَ مفاصلةٍ.

وشَرْحُ هذهِ المسألةِ على وجهِ الاختِصارِ أنَّهُ ليسَ الصوابُ هو دائمًا اجتنابَ «الفِتنة»، حتى وإنْ سمَّيْناها فِتنةً، بل قدْ يكونُ الصوابُ هو

الوقوفَ معَ إحدى الطائِفتَينِ ونُصرتَها.

فالمُجتنِبُ لكلِّ خِلافٍ وتقاتُلٍ بينَ المسلمينَ بِدعوى أنَّه فتنةٌ يجبُ اجتنابُها، وأنَّ اللهَ قد أمرَنا باجتناب الفِتنِ، هذا مُخطئٌ قد ضَلَّ الطريقَ، ولبَّسَ عليه الشيطانُ)[1].

هنا جاءَ السُّؤالُ: (لكن هل تَتصوَّرُ أنَّ هذا التعارُضَ أو الاختلافَ في خُططِ الجماعاتِ المُختلفةِ ومناهجِها؛ لانتشالِ العالَمِ الإسلاميِّ مِن وضْعِه الحاليِّ قدْ يَدفَعُ إخوةَ الأمسِ إلى التصادُمِ؛ مِن أجلِ الإمساكِ بزِمامِ القيادةِ وفَرْض كلٍّ لرُؤيتِه ومُخطَّطِه)؟

فكانَ تَعليقُ عطيةِ اللهِ: (حتَّى نكونَ صُرحاءَ وصادقينَ، ولا أرَى ضررًا في الصَّراحةِ هنا؛ لأنَّ الأمورَ على الأرضِ بدأتْ منذُ فَترةٍ تَسيرُ في اتجاهِ تمايُزِ الصفوفِ وانقساماتٍ واستِقطاباتٍ؛ فلا نَستطيعُ أن نُغمِضَ أعيُنَنا أو نتَعامى، بلْ علينا أنْ نواجِهَ الواقعَ بما أرانا اللهُ؛ فالتصالُحُ بين المؤمنينَ مطلوبٌ، والعفوُ والتَّغاضي والتنازُلُ والذِّلَّةُ للمؤمنين .. ولكن دائمًا هناكَ حدودٌ وخُطوطٌ حمراءُ، وهذا في كلِّ شَيءٍ من أمْرِ المخلوقِ، فكلُّ شيءٍ له حدودُهُ، وقد قيلَ أيضًا: إنَّ الشيءَ إذا زادَ عن حدِّهِ انقلبَ إلى ضِدِّهِ، وهو كلامٌ صحيحٌ على وجهِ الأغلبيَّةِ والإجمالِ، بمعنى: أنَّ الزيادةَ على

(١) لقاء مركز اليقين بالشيخ الفاضل عطية الله (جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ/ يونيو ٢٠٠٧) (عدد خاص) (ص ٥- ٦).

الحدِّ المطلوبِ غالبًا ما تصيرُ إلى فسادٍ ولا يتحققُّ معها صَلاحٌ بل يقعُ بها الضررُ.

أخي الكريمَ، إنَّ رايةَ الجِهادِ لا بدَّ أنْ تكونَ في أيدٍ أمينةٍ، يُمكن ائتِمانُها على الجهادِ، أناسٌ مِن أهلِ الصِّدقِ ومَتانة الدِّيانةِ والتقوى، وأهلِ العزائمِ والصَّبرِ، والحرَكةُ الإسلاميَّةُ جرَّبتْ وعانتْ وتراكمَتْ عندَها خِبراتٌ وتَجارِبُ؛ فهيَ ليستْ في مرحلةِ طفولةٍ، بل هيَ بحمدِ اللهِ بالغةٌ راشدةٌ سدِيدةٌ شديدةٌ، قد بَلَغتْ أشُدَّها واستوتْ، وآتاها اللهُ حظًّا من الحِكمةِ طيِّبًا، والحمد لله ربِّ العالمينَ.

فأنا شخصيًّا- بحسَبِ مَعرفتي- أستبعِدُ أنَّ الحركةَ الجهاديَّةَ اليومَ تفرِّطُ بسُهولةٍ في رايتِها وتضعُها في أيدٍ غير أمينةٍ.

ما الأيدي غيرُ الأمينةِ هذهِ؟

يُوجَدُ- يا أخي العزيز- أناسٌ يُريدونَ أن يقودوا الجِهادَ والحركةَ الجِهاديَّةَ، وأنْ يُمسِكوا بزِمامِ الأمورِ وتكونَ بأيديهم الرَّايةُ، لكن ليسَ عِندهم المؤهِّلاتُ لذلكَ، ونحن نعرفُ ذلكَ، والحركةُ الجِهاديةُ تعرفُ ذلكَ جيدًا، وهي واعِيةٌ بحَمدِ اللهِ وعيًا كامِلًا بهذا الشأنِ كما قلتُ لكَ؛ فلا يمكنُ أنْ تُجاهدَ الحركةُ الجهاديَّةُ وتُبلي، وتناضلُ وتكافحُ وتُعاني، وتقدِّمُ التَّضحياتِ الجليلةَ، ثم تسلِّمُ الرايةَ بسُهولةٍ لمَن لا يُؤتمنُ عليها، هذه نقطةٌ

في نَظري في غايةِ الأهميَّةِ، حتَّى يَفهمَ الإنسانُ مَبنًى من مباني الصِّراعِ، وتكونَ عنده خَلفيَّة.

لا أتوقَّعُ أنَّ الحَركةَ الجِهاديَّةَ بعدَ هذا النُّضجِ والوَعيِ والرُّقيِّ والإنجازِ تُسلِّمُ زِمامَها إلى مَن يُمكِن ويُتوَقَّعُ منه- بحسَب ما يُعطيه النظرُ في الأسبابِ والمسبِّباتِ، وما تُعطيه التَّجارِبُ والامتِحانات- أنْ يَرضَى غدًا أو بعدَ غدٍ بشيءٍ من الفُتات يُلقَى له من العدوِّ، ويَرضَى بأنصافِ الحلولِ والتسوياتِ.

هناكَ أُناسٌ من داخلِ إطارِ ما يُسمَّى المقاومةَ، أو حتى إن سُمِّي جِهادًا، طارِئون وجُددٌ على الجهادِ وعلى طريق الجِهادِ، وعلى فِقه الجهادِ وعلى مَنهجِ الجهادِ يفتِقدونَ الرُّسوخَ، ومتقلِّبونَ، ولم يُوضعوا على المَحكِّ الحقيقيِّ، ولم تُنجبْهم الأيَّامُ الصِعابُ، بل أنجبتْهم ظروفٌ وأحوالٌ أشبه ما تكونُ بـ«الاتفاقيَّة»، وكلُّ شيءٍ بقَدَرِ الله تَعالى، وُجِدوا فيها ووَجَدوا أنفسَهم فيها قياداتٍ، هؤلاءِ كيفَ يمكن للحركةِ الجِهاديةِ أن تأتِمنَهم على الرَّايةِ؟!

حقٌّ للجَميعِ أنْ يُجاهِدَ ويُساهمَ، لكنْ حقٌّ أيضًا لأمثالِ هؤلاءِ أن يَعرفوا قدرَ أنفسِهمْ.

وهناكَ أناسٌ مِن خارجِ المنظومةِ الجِهاديَّةِ أصلًا (خارِجٌ عن كلِّ ما يُسمى جهادًا أو حتى مقاومةً)، ويُريدونَ أيضًا أن يَقودوا الأُمَّةَ ويَقودوا الحركةَ الجِهاديَّةَ عن بُعدٍ، ويَفرضوا أنفُسَهم كقيادةٍ

لا يمكنُ تجاوزَها، هذا أيضًا غيرُ مَقبولٍ، ولا أتوقَّعُ أبدًا أن تنخدِعَ فيهم الحركةُ الجهاديَّةُ بعدَ هذا الرُشدِ، والحمدِ لله.

أخي، لنكنْ أكثرَ صَراحةً ووضوحًا، فحسَبَ مَعرفتي المتواضِعةِ، لن تَقبلَ الحركةُ الجِهاديَّة اليومَ بعدَ هذا الوعيِ والنُّضجِ وهذهِ التَّجارِبِ وهذه المعاناةِ، أن تسلَّمَ القيادةَ للإخوانِ المسلمينَ أو مَن قاربَهم وشابَهَهم، هذا واضحٌ، وأرجو أنْ تكونَ عِبارتي واضحةً لا تحتاجُ إلى كبيرِ شرحٍ وتحريرٍ.

ولن تَقبلَ الحركةُ الجهاديَّةُ أن تسلِّمَ القيادةَ لأُناسٍ أخلاطٍ مِن الفكرِ الإخوانيِّ والبَعثيِّ والوطنيِّ والقوميِّ وغيرهِ، لم يُمحَّصوا جيدًا، ولم يَحصُلِ الوثوق بهمْ جيِّدًا، بل عندَ بعضِ الامتِحاناتِ الصَّغيرةِ ظهَر منهم الضَّعفُ والركاكةُ، بل سقَط بعضُهم في امتِحانات شَهريَّة ونِصفيَّة!

نَسألُ اللهَ تَعالى أن يَربطَ على قُلوبِنا، ويُثبِّتنا وإيَّاكم على الحقِّ، ويرزقَنا اليقينَ، وأنْ يُعافيَنا قبلَ ذلكَ وبعده، آمين.

ولن تَقبلَ الحَركةُ الجهاديَّةُ أن تُسلِّمَ الرَّايةَ لِأُناسٍ يَعيشونَ مُتنقِّلين بين أَفخمِ الفَنادقِ في دولِ الرِّدَّةِ، مرضيًّا عَنهم من حُكوماتِ تلك الدِّولِ، يَعقدونَ المُؤتمراتِ عَلنًا عندهم، ويُشاركونَ في اللِّقاءاتِ وَالاجتِماعاتِ الطَّاغوتيَّةِ، ويُعانِقونَ الطَّواغيتَ وأئمَّةَ المُرتدِّينَ بالأحضانِ، ويُقبِّلونَهم ويَبشُّون في وُجوهِهم بَشاشةَ

الأخِ الوَدودِ، ويُظهِرونَ لهمُ المودَّةَ، ويُثنونَ عليهم وَعلى جُهودِهم ويَرجونَ فيهمُ الخَيرَ، ويَستنجِدون بِهم ويَرونَهم جُزءًا منَ الحلِّ، ويَعتبرونَهم إخوةً!

ولْنكنْ واضحينَ أيضًا مرَّةً أُخرى أخي الكَريمَ؛ فعِندما أقول:- الحرَكةُ الجهاديَّةُ-، فإنَّني أعني بِها الحركَةَ الجهاديَّةَ العالميَّةَ... نَعمْ مِن صِفاتِها- أيِ الحَركةِ الجِهاديَّةِ العالميَّةِ- أيضًا التَّواضُعُ والذِّلَّةُ لِلمؤمنينَ وخَفضِ الجَناحِ لهم، وتَنازلُ الحَركةُ الجِهاديَّةُ لِإخوانِها حتَّى أَضعفُ الضُّعفاءِ مِنهم قَدرَ المُستطاعِ... هذا حَقٌّ، ولكنَّ الرَّايةَ أمانةٌ عَظيمةٌ، لا يُمكنُ أبدًا بِحالٍ منَ الأحوالِ أن تُعطى بِسُهولةٍ لأيِّ أحدٍ... قيادَةُ الأُمَّةِ وقيادَةُ الجِهادِ إنَّما تَكونُ في يدِ أهلِها الَّذينَ عُرِفوا بالصِّدقِ والصَّبرِ واليَقينِ، والأمرُ للَّهِ مِن قبلُ ومِن بَعدُ، واللهُ يُؤتي مُلكَه مَن يَشاءُ، لكنَّ هذه هيَ قَناعةُ الحركَةِ الجهاديَّةِ الشَّرعيَّةِ وفِكرتُها، وهو مَبدأٌ صحيحٌ بِلا شكٍّ)[1].

تَضمَّن الكَلامُ السَّابقُ نَظرةً استِعلائيَّةً مِن قِبَلِ القاعِدَةِ لِلجماعاتِ الجهاديَّةِ الأُخرى، ورَميَها باتِّهاماتٍ لا أَصلَ لها كالإخوانيَّةِ والبَعثيَّةِ والوَطنيَّةِ، ومَعلومٌ أنَّ الجَماعاتِ المُخالفةَ لِلقاعدَةِ في العِراقِ مُعظمُها على المَنهجِ الإسلاميِّ السَّلفيِّ، وبَعضُها على

(١) لقاء مركز اليقين بالشيخ الفاضل عطية الله (جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ/ يونيو ٢٠٠٧) (عدد خاص) (ص ٦-٨).

مَنهجِ القاعِدَة كجَماعةِ أنصارِ السُّنَّةِ؛ فَمِنَ التَّمويهِ والتَّلبيسِ ذِكرُ مَناهجَ لا تَأثيرَ لها في السَّاحةِ، ونِسبتُها إلى مَن يُخالفُ القاعِدَةَ.

حاصِلُ الكلامِ السَّابقِ: أنَّ القاعِدَةَ تُريدُ فَرْضَ وَصايتِها على الحَركةِ الجِهاديَّةِ؛ فَمَن وافقَ رُؤيَتَها في الجِهاد العالميِّ فَقد ضَمِنَ السَّلامةَ مِن عُدوانِها، ومَن خالفَها أباحتْ لِنَفسِها الصِّدامَ معه؛ حِفاظًا على الرَّايةِ الجِهاديَّةِ بحَسَبِ زَعمِهم، أي: أنَّها أعطتْ لِنَفسها الحقَّ في الحُكمِ على مَناهجِ الجَماعاتِ وعِلاقتِها بِالآخرينَ، وَتقييمِ سياساتِها في ضَوءِ ما تَراه القاعِدَةُ؛ فمَن رَضيتْ عنه فَقد نَجا، ومَن خالَفهُم فلا بُدَّ من (وَقفةِ حقٍّ نَنصرُ الحقَّ ونَكونُ مَعه، ولا نَكونُ مَع الباطلِ أبدًا، يُمكن أن تُسمِّيَها نُقطةَ مُفاصلَةٍ)، كما يَزعُم عطيَّةُ اللَّهِ، فتَحوَّلتْ نُقطةُ المُفاصلةِ مِن جِهادِ أعداءِ الدِّينِ إلى جِهادِ أنصارِ الدِّينِ (المُخالفينَ لِلقاعدَةِ).

وَلنا أنْ نُقارنَ هذا الكَلامَ العَدائيَّ بِكَلامِ عَطيَّةَ اللهِ قبلَ إعلانِ الدَّولةِ حينما سُئل: (كَيف نَمنعُ حُصولَ الفِتنةِ بَين جَماعاتِ المُجاهدينَ في العِراقِ بَعدَ الانسِحابِ الأميركي؛ فَليس جَميعُ الجَماعاتِ تَتبعُ التَّيَّارَ الجِهاديَّ)، فكان جَوابُه: (ما عَلينا هوَ فَقطْ أن نَكونَ عَبيدًا للهِ حقًّا، ونَأخذَ بِأسبابِ الصَّلاحِ والتآلُفِ والاجتِماعِ كَما أمرَ اللهُ تَعالى، ونَتفقَّهُ في الدِّينِ.

الجَماعاتُ الَّتي لا تَسيرُ على المَنهجِ الإسلاميِّ وَعلى طاعةِ

اللَّهِ تَعالى وَالالتِزامِ بِدينِه وشَريعتِه، لا خَوفَ مِنها وَلا نُبالي بِها كثيرًا.. إنَّما الخَوفُ علينا هوَ مِن أنفسِنا، نَحن أصحابُ المَنهجِ الصَّحيحِ كَما ندَّعي، وهوَ حقٌّ والحَمدُ للهِ، وله الفَضلُ والمِنَّةُ.

نحنُ يَجبُ أن نَكونَ صفًّا واحدًا إخوةً مُتحابِّينَ مُتناصِرينَ مُتوالينَ مُتعاضِدينَ مُتعاوِنينَ مُتعاطِفينَ مُتَراحِمينَ، كَالبُنيانِ المَرصوصِ يَشدُّ بَعضُه بَعضًا، كَالجسدِ الواحدِ إذا اشتكى مِنه عُضوٌ تَداعى لَه سائرُ الجَسدِ بالسَّهرِ والحُمَّى... نَحن عَبيدٌ للهِ تَعالى، مَربوبونَ له عزَّ وجلَّ، في النَّصرِ وفي الهَزيمةِ، في القوَّةِ والضَّعفِ، كانت لَنا الدَّولةُ أو لم تَكنْ، في كُلِّ حينٍ وعلى كلِّ حالٍ)[1].

فَهذا كلامُ مُجاهدٍ زاهدٍ يَتَّهمُ نَفسَه، ويَحرصُ على الوَحدةِ الائتِلافِ، وَلا يُبالي إنْ كانتِ الدَّولةُ لِفئتِه أم لا، والكَلامُ السَّابقُ كلامُ حِزبيٍّ يَحرِصُ على الزَّعامةِ، ويَنظرُ بِعينِ الرِّيبةِ لِمَن حولَه مِن المُنافسينَ مَع خُلوٍّ لِمَعاني الأُخوَّةِ الإيمانيَّةِ!

(١) الأجوبة لأسئلة أعضاء منتدى الحسبة، ص ١٢٧.

المَوقفُ الرَّابعُ
مُحاربةُ دَولةِ الخِلافةِ
بِقيادةِ إخوة المَنهجِ

الخِلافُ بينَ داعشَ وجَبهةِ النُّصرةِ في سُوريَة هوَ أوضحُ تَرجمةٍ لِحَقيقةِ التَّلاعبِ بِمَبدأِ الوَلاءِ والبَراءِ عِندَ الجَماعاتِ المُتطرِّفةِ، خاصَّةً أنَّ خُصومَ القاعِدَة هذه المرَّةَ لَيسوا مِن المُرجئَةِ أوِ السَّروريَّةِ أو المُنحرفينَ مِن السَّلفيَّةِ بزعمهم، وإنَّما هُم إخوانُهم في المَنهجِ وإخوانُهم في النِّضالِ المُسلَّحِ مُنذُ أيَّام العِراقِ وإلى سَنةِ ٢٠١٣.

ما يَهُمُّنا هنا هو بَيانُ كيفَ حدَّدتْ جَبهةُ النُّصرةِ مَوقفَها مِن «إخوانِها المُجاهدينَ» في داعشَ، وهلْ حارَبوهم عَلى أساسٍ شَرعيٍّ، وَهلِ انحازوا إلى صُفوفِ الفَصائلِ السُّوريَّة (المَشبوهةِ في مَناهجِها وَارتباطاتِها) على أساسٍ شَرعيٍّ، بِعِبارةٍ أوضحَ: هَلِ اعتَمدتْ جَبهةُ النُّصرةِ (القاعِدَة في سُوريَة) عَقيدةَ الوَلاءِ والبَراءِ في تَحالُفاتِها ومَعاركِها، أم آثَرتْ مَصالِحَها ومَكاسبَها الحِزبيَّة وصَيَّرتها مِيزانًا لِلمُعاداةِ والمُوالاةِ؟

سَنذكرُ أوَّلًا القَواسمَ المُشتركةَ بَين داعشَ وجَبهةِ النُّصرةِ؛ مِن أجل بَيانِ زَيفِ الأسبابِ الَّتي قامتْ مِن أجلِها العَداوةُ بَين النُّصرةِ وداعش.

بَعدَ ذلك نُبيِّنُ أنَّ جَبهةَ النُّصرةِ رَفضتْ مَشروعَ الدَّولةِ في سُوريَة، بَينما كانتْ مُنضويةً تَحت لِوائِه في العِراقِ، ومُوافقةً على

وُجودِه، أي: إنَّها رَفضت غُلوَّ داعشَ واستبْدادَها في سُوريَة، بَينما كانتْ مُؤيِّدةً لِإجرامِه في العِراقِ !.

ثُم نَنتقِلُ إلى بَيانِ أنَّ تَنظيمَ القاعِدَة لم يَملِكْ أيَّ رُؤيةٍ عنِ الجِهادِ في العِراقِ أو سُوريَة؛ حتَّى لا يَزعمَ البَعضُ أنَّ القاعِدَة لها تَصوُّراتٍ مستقلَّةً بِخصوصِ الشَّأن السُّوريِّ، أو أنَّها تَرفضُ مَشروعَ داعش لِأسبابٍ مُعتبَرةٍ.

القَواسمُ المُشتركةُ بَين داعشَ وجَبهةِ النُّصرةِ:

لَسنا بِحاجةٍ إلى التَّوسُّع في بَيانِ القَواسمِ الجامعَةِ بَين إخوَّةِ المَنهجِ (داعشَ وجَبهةِ النُّصرةِ)، لا سيَّما مَع مَعرفتِنا أنَّ داعش هي جَماعةٌ مَرقَت وتَمرَّدتْ على القاعِدَةِ، فنَحن نَتحدَّثُ عن جِسمٍ واحدٍ خَرج مِن رَحمِه جَسدٌ آخرُ، لكنَّه لم يَتْبَعْ له، وإنَّما أعرضَ عنه واستَقلَّ بِنفسِه.

و الآتي يُوضِّح أبرزَ المُشتركاتِ بينَ الطَّرفَين:

المَنهجُ الفكريُّ:

- كِلاهما يتْبعُ مَدرسةَ الغلوِّ والتَّطرُّف بأفكارِه وأدبيَّاته المَعروفةِ، وهوَ يَنتسبُ لما يُسمَّى الجِهادَ العالميَّ، ويُكفِّرُ الأنظمَةَ العَربيَّةَ، ويَتَّهمُ كثيرًا مِنَ الإسلاميِّينَ بِالانحِرافِ العَقديِّ.

التاريخ المُشترَك:

- اعتَرفَ الجولانيُّ أنَّه جاءَ إلى سُوريَة قادمًا منَ العِراقِ بعدَ أنْ كان مُنضويًا تَحت رايةِ دَولةِ العِراقِ الإسلاميَّةِ، وأنَّه بَدأ نَشاطَه في سُوريَة بتَمويلٍ مِن زعيمِ داعش البَغداديِّ ومُوافقتِه[1].

المَوقِفُ من الفصائِل السُّوريَّة:

- كِلاهما يتَّفقُ على تَكفيرِ بعضِ فَصائلِ المُعارضةِ؛ يَقول الجولانيُّ: (نحنُ لا نُنكرُ أنَّ هناك جَماعاتٍ مِمَّن تُقاتلُكم قدْ وقعَتْ بردَّةٍ وكُفرٍ، كحالِ الأركانِ والائتِلافِ، ومَن يَقومُ على مَشروعِ الجَيشِ الوطنيِّ).
- كَما أنَّ جبهَةَ النُّصرةِ لَها تَحفُّظاتٌ على مُعظمِ الفَصائلِ الإسلاميَّةِ[2]، وتَورَّطت باشتِباكاتٍ مع بَعضِها، وَقد تَسبَّبتْ داعش بإحراجِها، ومَنعتْها مِن إظهارِ وَجهِها المُتطرِّفِ الَّذي ظَهرَ في العِراقِ سابقًا.

مشروع الدَّولة:

- كِلاهما يتَّفقُ على إقامةِ الدَّولةِ كَهدفٍ، أمَّا داعشُ فبَادرَ إلى ذلكَ، أمَّا النُّصرةُ فَقد قُطِعَ الطَّريقُ عَليها، وهيَ تَقولُ:

(١) مِن كلمته المعنونة بـ(حول ساحة الشام).

(٢) يُمكن مُراجعةُ بيان جبهة النصرة (رقم ٩)، الذي اعترضتْ فيه على ميثاق الشَّرف الثوري الذي وقَّعتْ عليه أبرزُ الفصائل السُّوريَّة.

(لا نُريدُ إلَّا دولةً تَقومُ على حاكميَّةِ الشَّريعَة بِلا خَفاءٍ وَلا مُداورةٍ، بل ونُعلنُها بِكلِّ صَراحةٍ بأنَّنا لنْ نَقبلَ بأيَّةِ دَولةٍ مَدنيَّةٍ أو دِيمقراطيَّةٍ، أو أيَّةِ دولَةٍ لا تَقومُ عَلى حاكميَّةِ الشَّريعَةِ)[1].

الموقِف من المتطوِّعين الأجانب في سُورِيَة:

- كِلاهما يُؤكِّد على ضَرورةِ بَقاءِ المُتطوِّعينَ الأجانبِ في سُوريَة؛ لِفَرض رُؤيةِ «الجِهادِ العالميِّ»، وتَقديمِها على خُصوصيَّةِ القَضيَّةِ السُّوريَّةِ، وطَبيعةِ الصِّراعِ مَع إيرانَ.
- أمَّا داعش فاعتِمادُها الأساسيُّ على المُتطوِّعينَ مَعروفٌ، أمَّا الجُولانيُّ فأكَّد على ضَرورةِ تَواجدِ الأجانبِ (كَضرورةٍ حتميَّةٍ؛ لِإبرازِ لُحمَةِ الإسلامِ في مِثلِ هذا الصِّراعِ التَّاريخيِّ)[2].

هَل لِلقاعدةِ أعذارٌ في عَدمِ مُبايعةِ داعشَ؟

كَما أسلفْنا فإنَّ جَبهةَ النُّصرةِ هيَ جِسمٌ مُنشقٌّ عن داعش، حينَما كانَ عَملُها مُقتصِرًا على العِراقِ وتَوجَّهتْ للشَّامِ بموافَقةِ البَغداديِّ وبِتَمويلٍ سخيٍّ مِنه كَما ذكرَ الجولانيُّ، ثُمَّ قَدَّمت بَيعتَها لِلظَّواهريِّ الَّذي زَكَّى دَولةَ العِراقِ الإسلاميَّةِ.

(١) مِن بيان لجبهة النصرة بعنوان بـ(بيان إعلامي رقم ٩ منشور بتاريخ ٢٠ أيار ٢٠١٤).

(٢) من كلمته بعنوان (الله الله في ساحة الشام).

فَما السَّببُ الَّذي جَعلها تَمتنعُ مِن العَودةِ إلى طاعةِ ما بايعَتْه وقاتَلتْ تَحتَ رايتِه؟ وإنْ حاولَ البَعضُ إنكارَ صِلةِ جَبهةِ النُّصرةِ بِدَولةِ العِراقِ الإسلاميَّةِ؛ فلِماذا تُعلنُ وَلاءَها للقاعدَةِ الَّتي أيَّدت مَشروعَ «دولةِ العِراقِ» واتَّهمتْ مُعارضيه وهاجَمتْهُم؟

على أيِّ أساسٍ قاتَلتِ القَاعِدَةُ في سُوريَة داعشَ، وتَورَّطت في دِماءِ (المُجاهدينَ)، وانحازَت إلى جانِبِ الإسلاميِّين المَشبوهينَ في مَناهجِهم وَلا يوافِقونها عَلى فِكرِها.

ولِماذا تَنكَّرت القاعِدَةُ في سُوريَة لِمَبدأِ الولاءِ والبراءِ، الَّذي عَمِلت به في العِراقِ؛ فَلا يوجَدُ لها أيُّ أسبابٍ مُعتبرَةٍ تَحملُها على الامتِناعِ عَن مُبايعةِ داعش، وسَنذكرُ فيما يَأتي بَعضَ موجِباتِ مُبايعةِ داعش بحَسَبِ مَنهجِ جَبهةِ النُّصرةِ وفِكرِها وتاريخِها في العِراقِ.

أوَّلًا: تَشابهُ الظُّروفِ والمُعطياتِ بينَ الحالةِ السُّوريَّة والعِراقيَّةِ

هناكَ تَشابهٌ كَبيرٌ بينَ القضيَّةِ السُّوريَّةِ والقضيَّةِ العِراقيَّةِ؛ فكِلاهما يَتضمَّنُ (احتلالًا إيرانيًّا مَدعومًا دوليًّا، ووجودَ أطرافٍ إسلاميَّةٍ مُعارِضةٍ للقاعدَةِ، وَوجودَ أطرافٍ سُنِّيَّةٍ علمانيَّةِ المَنهجِ)؛ ولِذلكَ سارَعتِ القاعِدَةُ إلى إعلانِ دَولتِها في العِراقِ؛ حِفاظًا على ثَمرةِ الجِهادِ مِن العِلمانيِّينَ والطَّارِئينَ على مَشروعِ الجِهادِ (كما تَزعُم)، وَهذا يَقتضي منَ القاعِدَة في سُوريَة أن تُكرِّرَ ما فَعلتْه في العِراقِ

مِن إعلانِ الدَّولةِ، أو تَأكيدِ بَيعتِها السَّابقَةِ.

ثانيًا: قوَّةُ المُعارضةِ العِلمانيَّةِ

مَعلومٌ أنَّ السَّاحةَ العِراقيَّةَ لم تَنشطْ فيها قُوَى علمانيةٌ ذاتُ حُضورٍ وتَأثيرٍ، بِخلافِ السَّاحةِ السُّوريَّةِ الَّتي يُلاحظُ فيها وُجودُ «الائتِلافِ السُّوريِّ لِقُوى المُعارضةِ»، ويَرتبِطُ به تَنظيمٌ عَسكريٌّ، وله عَلاقةٌ لا بأسَ بِها مع الفَصائلِ الإسلاميَّةِ، وَهذا في نظرِ المُتطرِّفين تَهديدٌ كبيرٌ لِمُستقبلِ الجِهادِ ومَسارِه، لا سيَّما مع وُجودِ تَفاهمٍ إسلاميٍّ- علمانيٍّ على رَفضِ مَشروعِ المُتطرِّفين.

فالواجبُ المُتحتِّمُ على جَبهةِ النُّصرةِ- تبعًا لِهذه الظُّروفِ- هو الانحيازُ إلى داعش، وقَطعُ الطَّريقِ أمامَ الإسلاميِّينَ المُتفاهِمينَ مَع العلمانيِّين، خاصَّةً بَعد أن أعلَنوا مِيثاقَ شَرفٍ ثَوريٍّ.

ثالثًا: مُمانعةُ الأكثريَّةِ لِمَشروعِ القَاعِدَةِ

تَعلمُ جَبهةُ النُّصرةِ أنَّها تَفرضُ نَفسَها بِحُكمِ تَأزُّمِ الصِّراعِ وحاجةِ الشَّعبِ إلى أيِّ نَصيرٍ يَقفُ إلى جانِبِهم، لكنَّها كذلك تَعلمُ أنَّ هناكَ وعيًا بينَ الفَصائلِ لِخَطرهم ومَشروعِهم؛ فالتَّوتُّرُ وَالاحتِكاكُ والصِّدامُ المُسلَّحُ في بَعضِ الأحيانِ مُتكرِّرٌ، ولا يُنبئُ بِمُستقبلٍ جيِّد للقاعدَةِ في سُوريَة.

فالجَبهةُ ومُعارضوها على عِلمٍ بأنَّ لَحظةَ الصِّدامِ وَالافتِراقِ قادِمةٌ لا مَحالةَ، وأنَّ التَّعايشَ المَوجودَ بَينَه فَرضَته الضَّرورةُ

والمَصالحُ المُشتركَةُ، وَهذا الأمرُ يَنبغي أنْ يَدفعَها لِلاقتِرابِ مِن داعش، وتَفضيلِها على المُعادينَ لِمَشروعِ القاعِدَةِ.

رابعًا: استيفاءُ داعشَ شرطَ السَّيطرةِ عَلى الأرضِ وحِيازةِ القوَّةِ

مِن أهمِّ الإعتراضاتِ الَّتي واجهَتْها القاعِدَةُ في العِراقِ حينما أعلنَت دَولتُها: أنَّها لا تَملِكُ سَيطرةً فِعليَّةً على الأرضِ، ولَيس لها قُوَّةٌ لِتَأمينِ مَناطِقِها وحِمايةِ أهلِها، وَمع ذلك مَضتْ في مَشروعِها، وَذلك عامَ ٢٠٠٦م.

في عام ٢٠١٣، و٢٠١٤م أصبحتْ لِداعش سيطرةٌ فِعليَّةٌ على مِساحاتٍ واسعَةٍ في العِراقِ وسُوريَة، خاصَّةً بعدَ سقوطِ عِدَّة مُدنٍ في يَدِها (دَيْر الزُّور، والرَّقَّة، والمَوصِل وصلاحِ الدِّين، والأنبارِ) وغيرِها، وكذلكَ زادَ رِجالُها وعِتادُها وسِلاحُها، وأصبحَت تُقاتلُ على أكثرِ مِن جبهَةٍ.

وهذا كُلُّه أدْعى لأنْ تَتَّحدَ جبهةُ النُّصرةِ مَع داعش، كما اتَّحدت مَعها سابقًا حينَما لم تَتوفَّرْ كلُّ هذِه الإمْكاناتِ والقُدراتِ.

فكانَ الواجبُ على جَبهةِ النُّصرةِ أن تَستقبِلَ إخوانَهم في داعش؛ حتَّى يَتكاملَ المَشروعانِ ويَتَّحدَ الفَريقانِ، كَما كان عَطيَّةُ اللهِ اللِّيبيُّ يَأمُلُ أن يَمتدَّ مَشروعُ الجِهادِ مُن العِراقِ إلى سُوريَة؛ حيثُ كَتب مُتوقِّعًا لِما يُمكنُه أن يَحصُلَ بعدَ الانسِحابِ الأمريكي

مِن العِراقِ، (وسيَستمرُّ المُجاهدونَ في مَشروعِهم السَّامي- شرَّفه اللَّهُ- فيَتقدَّمونَ على تَثبُّتٍ إلى الشَّام: سُوريَة ولُبنانَ والأُردنِّ)[1].

وقال أيضًا: (في رَأيي الخاصِّ، أنَّ الإخوةَ المُريدينَ لِلجهادِ والمُحبِّينَ والسَّاعينَ والمُستعدِّين في سُوريَة عَليهم أنْ يَكونوا امتِدادًا لِإخوانِهم في العِراقِ وغَيرِها، وأن يُكمِلوا الاِستِعدادَ، ويَكونوا على أُهبةِ الاِستِعدادِ لِلفُرصةِ المُتوقَّعةِ)[2].

خامسًا: تَزعُّم داعش لِمُحاربةِ الشِّيعةِ في العِراقِ

تَتولَّى داعشُ في العِراقِ قيادةَ الحربِ ضدَّ الشِّيعةِ، وَهذا يَعني أنَّها طَرفٌ مُهمٌّ وأساسيٌّ في المَعركةِ- مِن مَنظورِ جبهةِ النُّصرةِ- وَلا يُمكنُ التَّخلِّي عنه والتَّضحيةُ به مِن أجلِ مَصيرِ المَعركةِ العَقائديَّةِ.

وبَعد أنْ أصبحتِ العِراقُ وسوريَّا ساحةً واحدةً، فإنَّ المَكاسبَ الَّتي يُحقِّقُها داعشُ في العِراقِ مُهمَّةٌ جدًّا بالنِّسبةِ لِما تُحقِّقُه جَبهةُ النُّصرةِ في سوريَّا، وَمهْما بَلغَ الخِلافُ فَلا يُمكنُ تَقديمُه على المَصلحَةِ الجِهاديَّةِ العُليا- كما يَزعُم الغُلاةُ- .

لِذا فإنَّ الإسهامَ في إضعافِ داعش الَّذي يَتولَّى مُحاربةَ شِيعةِ العِراقِ أمرٌ يُخالفُ عَقيدةَ جَبهةِ النُّصرةِ ومَنهجَها، والواجبُ خِلافُ ذلك.

(١) الأجوبة لأسئلة أعضاء منتدى الحسبة (ص ١٤٤-١٤٥).
(٢) المصدر السابق (ص ٣٧).

سادسًا: القُوَّة الماليَّةُ لِداعش

مِن الأسبابِ الموجبَةِ لِمُبايعةِ داعش- بحسَب مَنهجِ جَبهةِ النُّصرةِ- أنَّ داعشَ أصبحَ قُوَّةً أكثرَ تَمكينًا مِن أيِّ وقتٍ مَضى لا سيَّما بَعد السَّيطرةِ على عِدَّة حُقولٍ نِفطيَّةٍ في سُوريَة تُوفِّر له دخلًا جيِّدًا يُؤَمِّنُ له اكتِفاءً ماليًّا لِتَدبيرِ شُؤونِ الدَّولةِ وإدامةِ المَعركةِ، وَهذا عُنصرٌ مُهمٌّ في التَّمكينِ المَطلوبِ تَوفيرُه لِإعلانِ الدَّولةِ، فَلا يَنبغي لِجبهةِ النُّصرةِ أنْ تُعرضَ عَن مُبايعةِ داعش، وهيَ تُعاين قُوَّتها الماليَّةَ الكبيرَةَ، وهوَ مَغنمٌ لم يَتوفَّر لِكلِّ المُتطرِّفين السَّابقينَ مُنذُ السَّبعينيَّاتِ وإلى يَومِنا هذا.

جبهةُ النُّصرةِ لَيس لها تَصوُّرٌ مستقلٌّ عن داعش:

قد يَعتذرُ البعضُ لجَبهةِ النُّصرةِ بأنَّها امتَنعَت عَن مُبايعةِ داعش؛ لِأنَّها تَملكُ تَصوُّرًا خاصًّا عنِ الحَربِ السُّوريَّةِ، وأنَّ داعش في العِراقَ ليس له مَعرفةٌ بِما يَجري في سُوريَة، ولا يَملكُ حَقَّ فرضِ رُؤيتِه القاصرَةِ على مَن هوَ أعرفُ مِنه.

وجوابًا عن هذا لا بدَّ منَ التَّأكيدِ بأنَّ القاعِدَة لم يَكنْ لَها أيُّ تَصوُّراتٍ مُسبقةٍ عَن مَعركةِ العِراقِ أو مَعركةِ سُوريَة، بل كانت تَسمعُ مِن أتْباعِها وتوافِقُهم على ما يَقولونَ.

ولو عُدْنا إلى تَصوُّر عَطيَّةِ اللهِ اللِّيبيِّ عنِ الحَربِ في سُوريَة تَأكَّدنا مِن حَجم بُعدِ القاعِدَة عَن مُقاربةٍ واقعيَّةٍ لمَشروعٍ جِهاديٍّ

في سُوريَة.

(النِّظامُ السُّوريُّ في أزمةٍ ووَرطةٍ ومَشاكلَ لا حَصرَ لها، والأمريكانُ واليهودُ معهم مُتردِّدون- لِأجلِ مُلاحظةِ كلِّ ذلك- في زِيادةِ الضَّغطِ على سُوريَة، وهم يَسعوْنَ لإيجادِ بَديلٍ مُناسبٍ لَهم، وخادمٍ لِمَصالحِهم بِشكلٍ أفضلَ؛ لأنَّ النِّظامَ الحاليَّ وَرِثَ مَوروثاتٍ قَوميَّةً وتاريخيَّةً تَجعلُه غيرَ مُلائمٍ لِلخدمةِ الوفيَّةِ!

لكن (الأمريكان) يَعلمون أنَّ تَبديلَ النِّظامِ هيَ عمليَّةٌ صَعبَةٌ تَنطوي على مَخاطرَ بِالنِّسبةِ لَهم، **فيُمكنُ أن تَحصُلَ فَوضى، و«الفَوضى» في المِنطقَةِ بِمعنى الانهيارِ السِّياسيِّ للأنظمَةِ الفاسدَةِ والانفِلاتِ الأمنيِّ، بالنِّسبةِ لِلمُجاهِدينَ هيَ مَرحلةٌ مَطلوبَةٌ؛** لأنَّها في فَلسفَتِهم وحسَبَ فَهمِهم لِلميزانِ الشَّرعيِّ للصَّلاحِ والفَسادِ خيرٌ مِن وُجودِ هذا النِّظامِ النَّصيريِّ البَعثيِّ القوميِّ العلمانيِّ الاستِبداديِّ الشُّموليِّ المُتعفِّنِ، الخائنِ، وقُل ما شِئتَ عنه!!

خِلافًا لِمَن يرَى غيرَ ذلكَ مِن إخوانِنا وقَومِنا، ممَّن يَميلُ في اختِياراتِه إلى السُّكونِ والدِّعةِ والأمنِ والأمانِ والاستِقرارِ والعَيشِ الهنيِّ، ويَجعلُ ذلك عَمليًّا كأنَّه المَقصدُ الَّذي بَعثَ اللهُ مِن أجلِه رُسلَه، ولمْ يَعرفِ الجِهادَ وما فيه مِنَ الخَيرِ والبَركاتِ.

وهذه الخَيريَّةُ المُشارُ إليها في حالِ الفَوضى، أحيانًا ومَرحليًّا، هي نِسبيَّةٌ إضافيَّة؛ فهيَ مبنيَّةٌ على قاعدَةِ «ارتِكابِ أخفِّ الضَّررينِ»

وما في مَعناها، هذا مِن جِهةٍ، وَمِن جِهةٍ أُخرى؛ لِأَنَّها وَسيلةٌ إلى خيرٍ أكبرَ وأعظمَ، وهوَ التَّغييرُ المَرجوُّ بالجِهادِ.

هناكَ عدَّةُ عواملَ مُؤثِّرةٍ في التَّحوُّلاتِ المُتوقَّعةِ في سُوريَة؛ طبعًا المَسألةُ العِراقيَّةُ، وَضعُ أمريكا في العِراقِ، الحَربُ بَينَ السُّنَّةِ والشِّيعةِ، نَفسُ مَشاكلِ النِّظامِ السُّوريِّ، وهيَ كثيرةٌ، حالُ أهلِ الجِهادِ في البلدِ والمِنطقةِ، ثُمَّ هل يُفكِّرُ المُجاهدونَ (وأعني القاعِدَةَ على الأخصِّ) في فَتحِ جَبهةٍ في سُوريَة؟ وهل سَيتمكَّنونَ؟ هل سَيُساعدُهُم الحالُ والظَّرفُ والمُعطياتُ؟ هلِ الشَّعبُ السُّوريُّ مُهيَّأٌ لِشيءٍ مثلِ هذا؟ أو يَحتاجُ إلى صَدمةٍ كَبيرةٍ مِثلِ غَزوٍ خارجيٍّ أوِ انفِلاتٍ في السُّلطَةِ واضْطِرابٍ؟

لأنَّ غيرَ هكذا[1]، لا يُوجَدُ شَخصيَّاتٌ قياديَّةٌ دينيَّةٌ واجتماعيَّةٌ مَوثوقةٌ ومَسموعٌ لها ومُطاعةٌ، مِن عُلماءَ مثلًا، تَستطيعُ أن تُحرِّكَ النَّاس وتَقودَ مَسيرتَهم..! هذا غيرُ موجودٍ أُسوةً ببَقيَّةِ بِلادِ المُسلمينَ تَقريبًا! ولِلأسفِ.!

وإنَّا للهِ وإنَّا إليه راجعونَ، **والشَّبابُ لا بدَّ لهم مِن عاملٍ مُساعدٍ قَويٍّ، وهوَ الصَّدمةُ الكَبيرةُ، والفوضى**)[2].

فمَنظورُ القاعِدَةِ للصِّراعِ في سُوريَة لا يَختلفُ عمَّا قامتْ به

(١) هكذا وردت ، ويقصد (بخلاف ذلك).
(٢) الأجوبة لأسئلة أعضاء منتدى الحسبة (ص ٣٥-٣٧).

داعش حينما استغلَّتِ الفَوضى، فدَخلتِ البِلادَ وانقَلبَت على الثُّوَّارِ والمُجاهدينَ، وكِلاهما يَشتركُ في عدمِ التَّعويلِ على المُجتمعاتِ المُسلمةِ في إحداثِ التَّغييرِ والثَّورةِ على الباطلِ، وقد كَذَّبتِ الثَّورةُ السُّوريَّةُ ظُنونَهم وتَوقُّعاتِهم، فلم تَبدأِ الثَّورةُ ولم تَنطلقْ مَسيرةُ الجِهادِ السُّوريِّ إلَّا على يدِ الشَّبابِ والمَدنيِّين الَّذين خَرَجوا في التَّظاهُراتِ طِيلةَ أشهُرٍ، وهمُ الَّذين كانوا سببًا في بدايةِ الانشِقاقاتِ في الجيشِ السُّوريِّ، وبَدءِ الجِهادِ المُسلَّح ضدَّ النِّظامِ.

[الخُلاصةُ ممَّا سبقَ: أنَّ جَبهةَ النُّصرةِ قاتَلت إخوانَها في المَنهجِ ورِفاقَها بِالأمسِ، وتَنكَّرت لِدولَةٍ إسلاميَّةٍ قاتَلتْ تَحتَ رايَتِها، وانحازَت إلى مُعسكرٍ مَشبوهٍ لا يُعلِنُ صَراحةً أنَّه يُريدُ تَطبيقَ الشَّريعَةِ، وأهملَت مَنهجَ الوَلاءِ والبَراءِ، وعطَّلتِ العَملَ به لِصالحِ مَكاسبِها الخاصَّةِ].

أثرُ التَّحزُّبِ المَذمومِ على الوَلاءِ والبَراءِ مِن كلامِ ابنِ تَيميَةَ

تَناولَ شَيخُ الإسْلامِ ابنُ تَيميَةَ مَوضوعَ التَّعصُّبِ الحِزبيِّ وآثارَه، وَمِن ذلك: العَطَبُ الَّذي يُصيبُ قاعدَةَ الوَلاءِ والَبراءِ عِندَ مَن يَتلبَّسُ بِشيءٍ مِنَ التَّعصُّبِ للشُّيوخِ والطَّوائفِ وَالمَذاهبِ، فَيُوالي وَيُعادي على أساسٍ غَيرِ شَرعيٍّ، وَمِن الأهميَّةِ بمكانٍ إيرادُ هَذه النُّصوصِ بِالتَّزامنِ مَع النَّظرِ في حالِ رِجالِ القَاعِدَة ومَن يَتعصَّبونَ لَهمْ؛ لِلتَّأكيدِ على أنَّه لا يوجدُ أيُّ وَجهٍ مُعتبرٍ لِلتحزُّبِ المَذمومِ بِكلِّ أحوالِه، أي: إنَّهُم يُقيمونَ الوَلاءَ والبَراءَ ولَيسَ لَهُم أيُّ شُبهةٍ يَتعصَّبونَ مِن أجلِها، كَحالِ الَّذينَ كانَ يَتكلَّمُ عَنهُمُ ابنُ تَيميَةَ مِن أتْباعِ الطُّرقِ الصُّوفيَّةِ أوِ المَذاهبِ الِفقهيَّةِ.

قال رَحِمه اللَّهُ: (فَالواجبُ عَلى كُلِّ مُؤمنٍ أن يُحبَّ ما أحبَّ اللهُ وَرَسولُه، وأن يُبغِضَ ما أبغَضهُ اللهُ ورَسولُه مِمَّا دلَّ عَليه في كِتابِه، فَلا يَجوزُ لِأحدٍ أن يَجعلَ الْأصْلَ في الدِّينِ لِشَخصٍ إلَّا لِرَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عَليهِ وسلَّم، وَلا يَقولَ إلَّا لِكتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ.

ومَنْ نَصَبَ شَخصًا كائنًا مَن كانَ، فَوالى وَعادَى عَلى مُوافقَتِه في القَولِ والفِعلِ فَهوَ: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ

﴿شِيَعًا﴾ الآيةَ [الروم: ٣٢]. وَإذا تَفقَّه الرَّجلُ وَتأدَّبَ بِطَريقَةِ قَومٍ منَ المُؤمنينَ مِثلَ: اتِّباعِ الأئمَّةِ وَالمَشايخِ؛ فَليسَ لَه أنْ يَجعلَ قُدوتَه وأصحابَه هُمُ العِيارَ، فَيُوالي مَن وافَقَهم وَيُعادي مَن خالَفَهم؛ فَينْبَغي لِلإنْسانِ أنْ يُعوِّدَ نَفسَه التَّفقُّهَ البَاطنَ في قَلبِه والعَملَ بِه فهَذا زاجِرٌ، وكَمائِنُ القُلوبِ تَظهَرُ عِندَ المِحَنِ. ولَيس لِأحدٍ أن يَدعوَ إلى مَقالةٍ أو يَعتقِدَها؛ لِكونِها قَولَ أصحابِه، وَلا يُناجِزَ عَليها، بَل لِأجلِ أنَّها مِمَّا أمرَ اللهُ بِهِ ورَسولُه؛ أو أخبرَ اللهُ بِهِ ورَسولُهُ؛ لِكَونِ ذلكَ طاعةً لِلهِ ورَسولِه. ويَنبَغي لِلدَّاعي أنْ يُقدِّمَ فيما استَدَلُّوا بِهِ مِنَ القُرآنِ؛ فإنَّه نورٌ وهُدًى؛ ثُمَّ يَجعلُ إمامَ الأئمَّةِ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عَليه وسلَّم، ثُمَّ كَلامَ الأئمَّةِ)[1].

وَقال: (**وَلا يُشرَعُ اجتماعُ طائفَةٍ وتَحزُّبُهم على التَّناصُرِ المُطلقِ، بِحيثُ يَنصُرُ بَعضُهُم بَعضًا في الحقِّ والباطلِ**، بلِ الواجبُ عَلى كلِّ أحدٍ اتِّباعُ كتابِ اللهِ وسُنَّة رَسولِه، وَالمؤمنونَ إخوَةٌ يَجبُ مُوالاةُ بَعضِهِم بَعضًا، وتَناصُرُهم وتَعاوُنُهم عَلى البرِّ والتَّقوَى)[2].

وقال: (وقَد أمرَ اللهُ نَبيَّه بالصَّبرِ عَلى أذى المُشركينَ في غَيرِ مَوضعٍ، وهوَ إمامُ الآمِرينَ بِالمَعروفِ النَّاهينَ عَنِ المُنكرِ؛ فإنَّ

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٨-٩).
(٢) جامع المسائل (١/ ١٩١).

الإنْسانَ عَليهِ أوَّلًا أنْ يَكونَ أمرُه لِلهِ، وقَصدُه طاعةَ اللهِ فِيما أمرَه بِه وهوَ يُحبُّ صَلاحَ المَأمورِ، أو إقامةَ الحُجَّةِ عَليه، فَإنْ فَعلَ ذلكَ لِطَلبِ الرِّياسةِ لِنَفسهِ ولِطائِفتِه، وتَنقيصِ غَيرِه كانَ ذلكَ حَميَّةً لا يَقبلُه اللهُ، وكَذلكَ إذا فَعلَ ذلكَ لِطَلبِ السُّمعَةِ والرِّياءِ كانَ عَملُه حابِطًا. ثُمَّ إذا ردَّ عَليهِ ذَلكَ وأُوذيَ أو سُبَّ إلى أنَّه مُخطئٌ وغَرضُه فاسدٌ، طَلبتْ نَفسُه الِانتصارَ لِنَفسهِ، وأتاه الشَّيطانُ، فَكانَ مَبدأُ عَملِه للَّهِ، ثُم صار لَه هوًى يَطلبُ بِه أنْ يَنتصِرَ عَلى مَن آذاهُ، ورُبَّما اعتَدَى عَلى ذلكَ المُؤذي.

وهكَذا يُصيبُ أصحابَ المَقالاتِ المُختلفَةِ، إذا كانَ كلٌّ مِنهُم يَعتقدُ أنَّ الحقَّ مَعه، وأنَّه على السُّنَّةِ؛ فإنَّ أكثَرَهم قَد صارَ لَهمْ في ذَلكَ هَوًى أنْ يَنتصرَ جاهُهُم أو رِياستُهُم وَما نُسِبَ إليهِم، لا يَقصِدونَ أنْ تَكونَ كَلِمةُ اللهِ هِيَ العُليا، وأنْ يَكونَ الدِّينُ كُلُّه للهِ، بَل يَغضَبونَ عَلى مَن خالَفهُم، وإن كانَ مُجتهدًا مَعذورًا لا يَغضبُ اللهُ عَليه، ويَرضونَ عَمَّن يُوافقُهُم، وإن كانَ جاهِلًا سَيِّئ القَصدِ، لَيس لَه عِلمٌ وَلا حُسنُ قَصدٍ، فيُفضي هَذا إلى أنْ يَحمَدوا مَن لم يَحمَدْه اللهُ ورَسولُه، ويَذمُّوا مَن لم يَذمَّه اللهُ ورَسولُه، وتَصيرُ موالاتُهُم ومُعاداتُهُم عَلى أهواءِ أنفسِهِم لا عَلى دينِ اللهِ ورَسولِه.

وَهذا حالُ الكفَّارِ الَّذينَ لا يَطلبونَ إلَّا أهواءَهُم، ويَقولونَ:

هَذا صَديقُنا وَهَذا عَدوُّنا، وبِلُغةِ المُغلِّ: هَذا بالٍ، هَذا باغٍ، لا يَنظرونَ إلى موالاةِ اللهِ ورَسولِه، ومُعاداةِ اللهِ ورَسولِه.

وَمِن هُنا تَنشأُ الفِتنُ بَين النَّاسِ. قالَ اللهُ تَعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفالِ: ٣٩]، فإذا لَم يَكنِ الدِّينُ كلُّه لِلهِ كانت فِتنةٌ.

وأصلُ الدِّينِ أنْ يَكونَ الحُبُّ للهِ، والبُغضُ لِلهِ، والموالاةُ لِلهِ، والمُعاداةُ لِلهِ، والعِبادةُ لِلهِ، وَالاستِعانةُ بِاللهِ، والخَوفُ مِن اللهِ، والرَّجاءُ لِلهِ، والْإعطاءُ لِلهِ، والمَنعُ لِلهِ، وهَذا إنَّما يَكونُ بِمُتابعةِ رَسولِ اللهِ، الَّذي أمْرُه أَمرُ اللهِ، ونَهيُه نَهيُ اللهِ، ومُعاداتُه مُعاداةُ اللهِ، وطاعَتهُ طاعَةُ اللهِ، ومَعصيتُهُ مَعصيَةُ اللهِ.

وَصاحبُ الهَوى يُعميهِ الهَوَى ويَصُمُّه، فَلا يَستحضِرُ ما لِلهِ ورَسولِه فِي ذلكَ، وَلا يَطلبُهُ، وَلا يَرضَى لِرِضا اللهِ ورَسولِهِ، وَلا يَغضَبُ لِغَضبِ اللهِ ورَسولِهِ، بَل يَرضَى إذا حَصلَ ما يَرضاهُ بِهَواهُ، ويَغضَبُ إذا حَصلَ ما يَغضَبُ لَه بِهَواهُ، ويَكونُ مَع ذلكَ مَعهُ شُبهةُ دِينٍ: أنَّ الَّذي يَرضى لَه ويَغضَبُ لَه أنَّهُ السُّنَّةُ، وَهوَ الحقُّ، وَهوَ الدِّينُ، فإذا لم يُقدَّرَ أنَّ الَّذي مَعهُ هوَ الحقُّ المَحضُ دينُ الإسلامِ، ولم يَكنْ قَصدُه أنْ يَكونَ الدِّينُ كُلُّه لِلهِ، وأنْ تَكونَ كَلمَةُ اللهِ هيَ العُليا، بَل قَصدُ الحَميَّةِ لِنَفسهِ وطائفَتِه أوِ الرِّياءِ، لِيُعظَّمَ هوَ ويُثنى عَليهِ، أو فَعَلَ ذلكَ شَجاعةً وطَبعًا، أو لِغرَضٍ مِنَ الدُّنيا لَم يكُنْ للهِ،

ولَم يَكنْ مُجاهدًا في سَبيلِ اللهِ؛ **فَكيفَ إذا كانَ الَّذي يَدَّعي الحقَّ والسُّنَّةَ هوَ كَنَظيرِهِ، مَعه حقٌّ وَباطلٌ، وسُنَّةٌ وبِدعةٌ، ومَع خَصمِهِ حقٌّ وَباطلٌ، وسُنَّةٌ وبِدعةٌ؟**.

وَهذا حالُ المُختلِفينَ الَّذين فرَّقُوا دينَهُم وَكانوا شيَعًا، وكَفَّر بَعضُهم بَعضًا، وفَسَّق بَعضُهُم بَعضًا؛ ولِهذا قالَ تَعالى فيهم: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٤- ٥])[1].

وقال أيضًا: (ولِهَذا تَجدُ قومًا كَثيرينَ يُحبُّونَ قومًا ويُبغِضونَ قومًا لِأجلِ أهواءٍ لا يَعرِفونَ مَعناها، وَلا دَليلَها، بَل يوالونَ عَلى إطلاقِها أو يُعادونَ مِن غَيْرِ أنْ تَكونَ مَنقولَةً نَقلًا صَحيحًا عَنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عَليهِ وسلَّم وسَلفِ الأُمَّةِ، وَمِن غَيرِ أنْ يَكونوا هُم يَعقلونَ مَعناها وَلا يَعرِفونَ لازِمَها ومُقتضاها، وسَببُ هذا إطلاقُ أقوالٍ لَيستْ مَنصوصةً وجَعلُها مَذاهبَ يُدْعَى إليها ويُوالى ويُعادَى عليها، وَقدْ ثبتَ في الصَّحيحِ أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كان يَقولُ في خُطبتِه: (إنَّ أصدقَ الكَلامِ كَلامُ اللهِ)؛ فَدينُ المُسلمينَ مَبنيٌّ على اتِّباعِ كِتابِ اللهِ وسُنَّةِ نَبيِّه وَما اتَّفقتْ عليه الأُمَّةُ؛ فَهذه الثَّلاثةُ هيَ أُصولٌ مَعصومةٌ وما تَنازعتْ فيه الأُمَّةُ رَدُّوه إلى اللهِ والرَّسولِ.

(١) منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٥٤-٢٥٦).

ولَيسَ لأحَدٍ أنْ يُنصِّبَ للأُمَّةِ شَخصًا يَدعو إلى طَريقتِه ويُوالي ويُعادي عليها غيرَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عَليه وسلَّم، وَلا يُنصِّبَ لهم كَلامًا يوالي عليه وَيُعادي غيرَ كَلامِ اللهِ ورَسولِه وَما اجتَمعَت عَليه الأُمَّةُ، بَل هذا مِن فِعل أهلِ البِدَعِ الَّذين يُنصِّبون لَهم شَخصًا أو كَلامًا يُفرِّقونَ بِهِ بينَ الأُمَّةِ؛ يوالونَ به عَلى ذلكَ الكلامِ أو تلكَ النِّسبةِ، ويُعادونَ. **والخَوارجُ إنَّما تَأوَّلوا آياتٍ مِنَ القُرآنِ عَلى ما اعتَقدوه وجَعلوا مَن خالَفَ ذلك كافِرًا؛ لِاعتِقادِهم أنَّه خالَفَ القُرآنَ، فَمَنِ ابتَدعَ أقوالًا لَيس لَها أصلٌ في القُرآنِ وجَعلَ مَن خالَفَها كافِرًا، كانَ قَولُه شرًّا مِن قولِ الخَوارجِ)**[1].

وقال أيضًا: (وَمَن لم يَكنْ خارجًا عَن حُقوقِ الإيمانِ وَجبَ أنْ يُعامَلَ بِموجبِ ذلك، فيُحمَدُ على حَسناتِه ويُوالَى عليها، ويُنهى عَن سيِّئاتِه ويُجانَبُ عَليها بِحَسَبِ الإمكانِ، وَقد قالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عَليه وسلَّم: «انصُرْ أخاك ظالِمًا أو مَظلومًا، قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ أنصُرُه مَظلومًا، فَكيفَ أنصُرُه ظالِمًا؟ قالَ: تَمنعُه مِنَ الظُّلمِ؛ فذَلكَ نَصرُك إيَّاه».

وَالواجبُ عَلى كلِّ مُسلمٍ أنْ يَكونَ حبُّه وبُغضُه، ومَوالاتُه ومُعاداتُه تابِعًا لِأمرِ اللهِ ورَسولِه؛ فيُحبُّ ما أحبَّه اللهُ ورَسولُه، ويُبغِضُ ما أبغضَه اللهُ ورَسولُه، ويوالي مَن يوالي اللهَ ورَسولَه،

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٦٤).

ويُعادي مَن يُعادي اللهَ ورَسولَه، وَمَن كانَ فيه ما يوالى عَليه مِن حَسناتٍ وَما يُعادى عَليه مِن سيِّئاتٍ عُومِلَ بِموجَبِ ذلكَ، كفُسَّاقِ أهلِ المِلَّةِ؛ إذ هُم مُستحقُّونَ لِلثَّوابِ والعِقابِ، وَالموالاةِ والمُعاداةِ، والحُبِّ والبُغضِ؛ بِحَسَبِ ما فيهم مِنَ البِرِّ والفُجورِ؛ فإنَّ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة:٧ - ٨]، وَهذا مَذهبُ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ، بِخِلافِ الخَوارجِ والمُعتزلَةِ، وبِخلافِ المُرجئَةِ والجَهميَّةِ؛ فإنَّ أولئكَ يَميلونَ إلى جانبٍ، وَهَؤلاءِ إلى جانبٍ، وأهلُ السُّنَّةِ والجَماعةِ وَسطٌ)[1].

وقال أيضًا: (وأمَّا انتِسابُ الطَّائفةِ إلى شَيخٍ مُعيَّنٍ، فَلا ريبَ أنَّ النَّاسَ يَحتاجونَ مَن يَتلقَّونَ عَنه الإيمانَ والقُرآنَ، كَما تلقَّى الصَّحابةُ ذلك عَنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وتَلقَّاه عَنهمُ التَّابعونَ؛ وبِذلك يَحصُلُ اتِّباعُ السَّابقينَ الأوَّلينَ بإحسانٍ، فَكَما أنَّ المَرءَ لَه مَن يُعلِّمُه القُرآنَ ونَحوَه، فَكَذلك له مَن يُعلِّمُه الدِّينَ الباطنَ والظَّاهرَ. وَلا يَتعيَّنُ ذلك في شَخصٍ مُعيَّنٍ، وَلا يَحتاجُ الإنسانُ في ذَلكَ أنْ يَنتسِبَ إلى شَيخٍ مُعيَّنٍ كلُّ مَن أفادَ غَيرَه إفادةً دِينيَّةً هوَ شَيخُه فيها؛ وكُلُّ مَيِّتٍ وَصلَ إلى الإنسانِ مِن أقوالِه وأعمالِه وآثارِه ما انتَفعَ به في دِينِه، فهوَ شيخُه مِن

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٩٤-٩٥).

هذه الجِهةِ؛ فسَلفُ الأُمَّةِ شيوخُ الخُلفاءِ قرنًا بَعد قَرنٍ.

وَليس لأحدٍ أنْ يَنتسِبَ إلى شيخٍ يُوالي عَلى مُتابعتِه ويُعادي على ذلك؛ بَل عليه أنْ يواليَ كلَّ مَن كان مِن أهلِ الإيمانِ ومَن عُرِفَ منه التَّقوى مِن جَميعِ الشُّيوخِ وغَيرِهم، وَلا يَخصُّ أحدًا بِمزيدِ موالاةٍ إلَّا إذا ظَهرَ له مَزيدُ إيمانِه وتَقواه، فيُقدِّم مَن قدَّم اللهُ تعالى ورَسولُه عليه، ويُفضِّلُ مَن فضَّلَه اللهُ ورَسولُه)[1].

ومِمَّا قاله: (وَقدْ جَعَل اللهُ فيها [أي: النُّصوصِ في الكِتابِ والسُّنَّة] عِبادَه المُؤمنينَ بَعضَهُم أولياءَ بَعضٍ، وجَعلَهم إخوَةً وجَعلَهم مُتناصرينَ مُتراحِمينَ مُتعاطِفينَ، وأمرَهُم سُبحانَه بالِائتِلافِ ونهاهُم عَن الافتِراقِ والِاختِلافِ فَقال: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وَقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ﴾ الآيَةَ [الأنعام: ١٥٩]؛ فَكيفَ يَجوزُ مَع هذا لِأُمَّةِ مُحمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنْ تَفترِقَ وتَختلِفَ حتَّى يُواليَ الرَّجلُ طائفَةً، ويُعاديَ طائفَةً أُخرى بالظَّنِّ والهَوى؛ بِلا بُرهانٍ منَ اللهِ تَعالى.

وَقدْ بَرَّأ اللهُ نَبيَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مِمَّن كان هَكذا؛ فَهذا

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٥١١-٥١٢).

فِعْلُ أهلِ البِدَعِ، كالخَوارجِ الَّذينَ فارَقوا جَماعةَ المُسلمينَ واستَحلُّوا دِماءَ مَن خالَفَهم، وأمَّا أهلُ السُّنَّةِ وَالجماعةِ فهُم مُعتصِمونَ بِحبلِ اللهِ، وأقلُّ ما في ذَلك أنْ يُفضِّلَ الرَّجُلُ مَن يوافِقُه على هَواهُ وإنْ كانَ غيرُه أتقى لِلهِ مِنه، وإنَّما الواجبُ أن يُقدِّمَ مَن قدَّمَه اللهُ ورَسولُه، ويُؤخِّرَ مَن أخَّرَه اللهُ ورَسولُه، ويُحِبَّ ما أحبَّه اللهُ وَرَسولُه، ويَبغَضُ ما أبغَضَه اللهُ ورَسولُه؛ ويَنهى عمَّا نَهى اللهُ عنه ورَسولُه، وأنْ يرضَى بِما رَضِيَ اللهُ به ورَسولُه؛ وأنْ يكونَ المُسلمونَ يدًا واحدةً؛ **فَكيفَ إذا بلَغَ الأمرُ بِبَعضِ النَّاسِ إلى أنْ يُضلِّلَ غَيرَه ويُكفِّرَه، وَقدْ يَكونُ الصَّوابُ مَعه وَهو المُوافقُ لِلكتابِ والسُّنَّةِ؛ وَلو كان أخوه المُسلمُ قدْ أخطأ في شَيءٍ منِ أُمورِ الدِّينِ، فَليسَ كلُّ مَن أخطأ يَكونُ كافرًا وَلا فاسِقًا، بل قد عَفا اللهُ لِهذه الأُمَّةِ عَنِ الخَطأِ والنِّسيانِ**)[1].

ويَقول أيضًا: (وكلُّ مَنِ اتَّخذَ شيخًا أو عالمًا مَتبوعًا في كُلِّ ما يَقوله ويَفعلُه؛ يُوالي على موافقَتِه ويُعادي على مُخالفَتِه غيرَ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؛ فهوَ مُبتدِعٌ ضالٌّ خارِجٌ عَنِ الكِتابِ والسُّنَّةِ، سواءٌ كانَ مِن أهلِ العِلمِ والدِّينِ كَالمشايخِ والعُلماءِ، أو

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٤١٩-٤٢٠).

كانَ مِن أهلِ الحَربِ والدِّيوانِ، كالمُلوكِ والوُزَراءِ، بلِ الواجبُ على جَميعِ الأُمَّةِ طاعةُ اللهِ ورَسولِه، **ومُوالاةُ المُؤمنِينَ عَلى قَدْرِ إيمانِهِم، ومُعاداةُ الكافرينَ على قَدْرِ كُفرِهِم)**[1].

(١) جامع المسائل (٧/ ٤٦٤ -٤٦٥).

الجَماعاتُ المُتَطَرِّفةُ
في ضَوءِ كلامِ ابنِ تَيمية

تَتجلَّى في تَجارِبِ المُتَطَرِّفين أوضحُ صِوَرِ الغُلوِّ في التَّحزُّبِ والمُتابعةِ العَمياءِ لِما يَراه الزُّعماءُ، كَما أنَّ الظَّاهرةَ الَّتي تَحدَّثَ عنها ابنُ تَيميةَ وذَمَّها ماثِلةٌ في سُلوكِ تَنظيمِ القَاعِدَةِ ومَن يُناصرُه، لَكن مَع مُراعاةِ الفَرقِ الكَبيرِ بَين التَّعصُّبِ لِفُقهاءِ المَذاهبِ ومَشايخِ التَّصوُّفِ الَّذينَ قَصدَهُمُ ابنُ تَيميةَ بالدَّرجةِ الأُولَى في كَلامِه، وبَين حِزبيَّةِ المُتَطَرِّفين لِزُعمائِهم، وَالفرقُ هوَ في شِدَّة العَداءِ لِلمؤمِنينَ والمُباينةِ لِجَماعتِهم؛ وَذلك لِأنَّ الغلاة في زماننا خالَفوا إجماعَ المُسلمينَ؛ فَلا يوافِقُهم على مَذهبِهم أحدٌ مِنَ العُلماءِ وَالمُفكِّرينَ وَالمُجاهدينَ والدُّعاةِ والعامِلينَ في سَبيلِ اللهِ، وَلا يَنحازُ إلى طائِفَتِهم إلَّا مَن كان على شاكِلَتِهم، فَقدْ تَميَّزوا عَنِ الأُمَّةِ وارتَضَوْا لِأنفُسِهم طَريقًا مُباينًا لِلجمهورِ، ثُمَّ شَرَعوا في مُحاسبةِ النَّاسِ وتَصنيفِهم، والحُكمِ عَليهم حَسبَ مَنهَجِهم.

كَما أنَّهم لا يُعاملونَ مُخالفيهم مِنَ المُسلمينَ إلَّا بمَنطقِ الفُسطاطَيْنِ والمَنهَجيْنِ: فُسطاطِ إيمانٍ لا نِفاقَ فيه، وفُسطاطِ نِفاقٍ لا إيمانَ فيه، ولا يَعرِفونَ معنًى لِقَول ابنِ تَيميةَ: (**موالاةُ المُؤمنينَ عَلى قدْرِ إيمانِهم، ومُعاداةُ الكافرينَ عَلى قَدرِ كُفرِهِم**)، وقَولِه:

(مَن كانَ فيه ما يُوالَى عليه مِن حَسناتٍ وما يُعادَى عليه مِن سيِّئاتٍ، عُوملَ بِموجَبِ ذلك)، وقَولِه: **(مَن كان فيه إيمانٌ وَفيه فُجورٌ، أُعطيَ مِن المُوالاةِ بِحَسبِ إيمانِه، وَمِنَ البُغضِ بِحَسبِ فُجورِه)**، هذا إنِ اعتَبرنا مُخالفَةَ رَأيِ القَاعِدَة مِن جِنسِ الفُجورِ والسَّيِّئاتِ والمَعاصي!

إضافةً إلى أنَّهم يتفننون في عَداءِ مُخالفيهِم، فيَبدؤونَ مِن خِذلانِ الدُّعاةِ ومُهاجمةِ الْإِسْلاميِّينَ، وتَسفيهِ آرائِهِم والتَّقليلِ مِن شَأنِ جُهودِهِم، ويَنتهونَ إلى قِتالِ مَن يُدْخلونَه في دائرَةِ الكُفرِ وَالرِّدَّةِ عِندَ التَّمكُّن مِن حَملِ السِّلاحِ.

يَنفي الغُلاةُ عَن أنفسِهِم تُهمةَ مُشابهَةِ الخَوارجِ أو تَكفيرِ المُسلمينَ، لَكنَّ تَصرُّفاتِهِم تُؤكِّدُ أنَّهم يَتعاملونَ مع مَن لا يوافِقُهم كَما يَتعاملُ الخارِجيُّ مَع جُمهورِ المُسلمينَ؛ فَلا يَقبلونَ مِن أحدٍ إلَّا الطَّاعةَ الَّتي لا يَشوبُها نَقدٌ أو مُعارضةٌ، والنَّاسُ في مَنظورِهم: موافِقونَ لِلقاعدَةِ أو مُخالفونَ لَها، والمُعارضُ لا يَشفعُ له عِلمُه وَلا دَعوتُه، وَلا جُهودُه في نُصرَةِ الْإِسلامِ.

وقَدِ ابتَدَعوا أقوالًا ومَذاهبَ حاكَموا النَّاسَ على أساسِها، وَمِن ذلكَ:

- زَعمُهم أنَّ الاتِّباعَ الصَّحيحَ لِمِلَّةِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ في

الثَّورةِ على الحُكَّامِ، وخَلعِهِم بالقُوَّة حتَّى إنْ جَرتْ دِماءُ المُسلمينَ سُيولًا وأنهارًا.

- وأنَّ الحُكمَ بِالشَّرِيعَة مُتعطِّلٌ مُنذ سُقوطِ الخِلافةِ العُثمانيَّةِ.

- وأنَّ الجِهادَ فَرضُ عَينٍ على الأُمَّةِ مُنذُ سُقوطِ الأندلُسِ.

- وكَذلك اعتِمادُهُمُ الكَبيرُ على العَمليَّاتِ الانتِحاريَّةِ بِطريقَةٍ أهْدَروا فيها كلَّ الضَّوابطِ والشُّروطِ الَّتي وَضعَها العُلماءُ.

- وَكذلك ما ابتَدَعوه في مَسائلِ السِّياسةِ الشَّرعيَّةِ والتَّعامُلِ مَع الكُفَّارِ وتَحديدِ أهدافِ المُواجهَةِ، وطَريقةِ خَوضِ الصِّراعِ مَع قُوَى الباطلِ المُختلِفةِ.

- وقَولُهم: لا يُفتي قاعِدٌ لمُجاهِدٍ.

- وأنَّ العُلماءَ يَجبُ أن يَخرجوا إلى مَيادينِ الجِهادِ ويَقودوا الأُمَّةَ.

وغَيرُ ذلكَ مِنَ الأقوالِ الَّتي لم يَسبقْ لِأحدٍ أنْ قال بِها، ولم يُعرَفْ لها نَظيرٌ في تاريخِ المُسلمينَ.

وَالأكثَرُ مِن ذلكَ أنَّهُم يَعقِدونَ البَراءَ والوَلاءَ لِمَجاهيلَ لا يُعرَفُ عن عِلمِهم وفِقهِهم شَيءٌ، وَلا يَطرَحونَ مَشروعًا واضِحًا؛ فمُعظمُ قادَتِهم وزُعمائِهم مِنَ المَجاهيلِ لا يُمكِنُ تَعديلُهم وتَزكيَتُهُم بِطريقَةٍ

مَقبولَةٍ شرعًا، وَلا يَجوزُ أن يَكونوا مَحلًّا لِلتَّعصُّب وَالتَّحزُّب، كَالعلماءِ وشُيوخِ التَّصوُّفِ وأئمَّةِ المَذاهبِ، مِمَّنِ اشتُهِر عِلمُهم وفَضلُهُم وزُهدُهُم، كَعبدِ القادِرِ الجيلاني، وأصحابِ المَذاهبِ الفِقهيَّةِ الأربعةِ وغيرهم مِن أعيانِ المُسلمينَ.

فَالأُمَّةُ لا تَعرِفُ شَيئًا عَن أُسامةَ بْنِ لادِنَ وأيمنَ الظَّواهريِّ، وسَيفِ العدلِ وأبي مُصعَبٍ الزَّرقاويِّ، وأبي مُحمَّد الجولانيِّ وأبي حَمزةَ المِصريِّ، وأبي عُمَرَ البَغداديِّ وأبي بَكرٍ البَغداديِّ، وغَيرِهِم.

ووُجودُهم في ساحاتِ القِتالِ لا يُعَدُّ تَزكيَةً ولا شَهادةً بِحُسنِ سِيرتِهم وأهليَّتِهم لِقيادةِ الأُمَّة، وَلو لَم يَعرِفِ النَّاسُ هَؤلاء مِن خلالِ وَسائلِ الإعلامِ الَّتي تَحرِصُ عَلى إظهارِهم كَإرهابيِّينَ يُهدِّدون السِّلْمَ العالميَّ، لَبَقِيَ ذِكرُهم خافِتًا لا يَسمعُ بِهم إلَّا مَنِ اقتَربَ مِنهم وخالَطهُم وعَرَفَ أحوالَهُم.

إنَّ تَيَّارَ الجِهادِ العالميَّ وتَنظيمَ القَاعِدَةِ لا يَستمدُّ شَرعيَّته مِن العُلماءِ، حتَّى يَكونَ لِلمتعصِّبِ لَهمْ شُبهةٌ أو وَجهٌ مُعتبَرٌ لِتَحزُّبِه؛ ولِذلك لَيس فيهم عُلماءُ مُعتبَرونَ لَهم قَدَمَ صِدقٍ عِندَ الأُمَّةِ، ومَن عُرِف مِنهم بِالعِلمِ بَعيدٌ عَن مَيدانِ القِتالِ فَلا يُمكنُ الأخْذُ بِأحكامِه كَحالِ أبي قَتادةَ الفَلسطينيِّ وأبي مُحمَّدٍ المَقدسيِّ، ومِنهُم مَن

تَورَّطَ في تَبريرِ الجَرائمِ وَالأفعالِ الشَّنيعَةِ لِلمُسلَّحينِ، كَالفَلسطينيِّ في فِتنةِ الجَزائرِ، وشَهِدَ عَليه أبو مُصعبٍ السُّوريُّ في ذلكَ.

والأهمُّ مِن ذلك: ما أثبتَتْه التَّجارِبُ أنَّ مَن عُرِف بالعِلمِ مِنهمْ لا سُلطانَ لَه على القادَةِ المَيدانيِّينَ وحَمَلةِ السِّلاحِ، وَلِسانُ حالِهم: **لا صَوتَ يَعلو فَوقَ صَوتِ البُندقيَّةِ**؛ ولِذلكَ وبَّخَ الزَّرقاويُّ شَيخَه المَقدسيَّ بِسَببِ مُناصرتِه ومُناصحَتِه لَه، وَكذا فَعَل أيمنُ الظَّواهريُّ مَع فَقيهِ الجَماعةِ ومَرجعِها الفِكريِّ عَبدِ القادرِ بنِ عَبدِ العَزيزِ.

ولَو أصدرَ زُعماءُ التَّطرُّفِ مَوسوعاتٍ كامِلةً يَتراجَعونَ فيها عَن أفكارِهِم لَم يَجِدوا مَن يَسمعُ لَهم في ساحاتِ القِتالِ، وتَراجُعاتُ الجَماعةِ اللِّيبيَّةِ المُقاتلةِ، وَالجماعةِ الإسلاميَّةِ المِصريَّةِ خَيرُ شاهدٍ، فَضلًا عَن رَسائلِ النُّصحِ والنَّقدِ والتَّوجيهِ مِن أبناءِ التَّيَّارِ المُتَطَرِّف نَفسِه، مِثل ما كَتبَه أبو مُصعَبٍ السُّوريُّ في كِتابِه (دَعوةُ المَقاومةِ الإسلاميَّةِ العالمِيَّةِ)، وكِتابِ أبي محمَّدٍ المَقدسيِّ (وَقفاتٌ مع ثَمراتِ الجِهادِ بَينَ الجَهلِ في الشَّرعِ والجَهلِ بالواقِعِ)، فَضلًا عَن مُراجعاتِ عَبدِ القادِرِ بنِ عَبدِ العَزيزِ المَوسومَةِ بِـ(وَثيقةُ تَرشيدِ العَملِ الجِهاديِّ في مِصرَ والعالَمِ).

إنَّ تَفاصيلَ المَشروعِ الَّذي يَدعو إليه الغُلاةُ غَيرُ مَعلومةٍ؛ فَهو دَعوةٌ إلى حَربٍ مَفتوحةٍ مع حُكوماتِ وَجُيوشِ الأرضِ كُلِّها، لا

يُسمَحُ فيها بِوَضعِ أهدافٍ مَرحليَّةٍ أو غاياتٍ مُحدَّدةٍ؛ لأنَّها سَتُعتبرُ مِن قَبيلِ التَّنازُلاتِ- في عُرفِ الغُلاةِ-؛ لِذلك لا يَصحُّ التَّحزُّبُ لِأمرٍ مَجهولِ المَعالمِ، ثُم تَكونُ المُوالاةُ والمُعاداةُ على أساسِه.

المصادر

* أبو الليث الليبي، **رسالة نصح وإرشاد للقاعدين عن الجهاد،** بتاريخ ٢٠ جمادى الأولى ١٤٢٦هـ.

* أبو محمد المقدسي

- **ملة ابراهيم ودعوة الانبياء والمرسلين**، موقع التوحيد والجهاد.

- **الزرقاوي؛ مناصرة ومناصحة آمال وآلام**، بتاريخ جمادى الثاني ١٤٢٥هـ.

* أبومصعب السوري، **دعوة المقاومة الاسلامية العالمية،** ديسمبر ٢٠٠٤م.

* أبو يحيى الليبي، **مجموع أبحاث ورسائل وتوجيهات لأبي يحيى الليبي**، محرم ١٤٣١هـ، نخبة الإعلام الجهادي.

* أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ابن تيمية)

- **مجموع الفتاوى**، جمع وإعداد عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة

- **جامع المسائل**، جمع وتحقيق محمد عزير شمس و علي العمران ، دار عالم الفوائد -الرياض

- **منهاج السنة النبوية**، تحقيق محمد رشاد سالم، منشورات

جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية.

* أسامة بن لادن، **مجموع رسائل وتوجهات الشيخ المجاهد أسامة بن لادن**، ١٤٣٦هـ، نخبة الإعلام الجهادي.

* أيمن الظواهري، **مجموع أبحاث ورسائل وتوجيهات أيمن الظواهري**، ربيع الثاني ١٤٣١هـ، نخبة الإعلام الجهادي .

* الجيش الاسلامي في العراق

- **رد الجيش الاسلامي في العراق على خطابات الاخ ابي عمر البغدادي**، بتاريخ ٥ نيسان ٢٠٠٧م.

- مقال "**مواقف جهادية من العراق**"، مجلة الفرسان الصادرة عن الجيش، العدد (١٤)

* سيد إمام الشريف

- **التعرية لكتاب التبرئة**، نشرت منه عدة حلقات في صحيفة الشرق الاوسط.

- **مستقبل الصراع في أفغانستان**، نشرت منه عدة حلقات في صحيفة الشرق الاوسط

* سيف العدل (من قادة القاعدة)، **تجربتي مع أبي مصعب الزرقاوي**.

* عبد الباري عطوان، **القاعدة التنظيم السري**، ٢٠٠٥م، دار

الساقي – بيروت .

* عطية الله الليبي

– **لقاء مركز اليقين الاعلامي مع الشيخ عطيه الله**، يونيو ٢٠٠٧م.

– **لقاء منتديات شبكة الحسبة مع الشيخ عطية الله**، أيلول ٢٠٠٦م.

* **المجموع لقادة دولة العراق الاسلامية**، أيار ٢٠١٠م، نخبة الاعلام الجهادي.

* مصطفى حامد المصري، **صليب في سماء قندهار**، منشور على موقعه الشخصي www.mustafahamed.com.

تدوينات

التدوينات	الصفحة
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....

التدوينات	الصفحة
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....

التدوينات	الصفحة
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....

الصـف والإخـراج